

حمدي البابلي
حُب في الظهيرة
قصص
كيان كورب
دار ليلى

حمدي البابلي

"حب في الظهيرة"

كيان كورب للنشر والتوزيع

(دار ليلى)

الكتاب:

حب في الظهيرة

المؤلف:

حمدي البابلي

الغلاف:

محمد محمود

التنفيذ الفني:

حسام سليمان

التدقيق اللغوي:

محمد عبد الغفار

★★★

إدارة التوزيع:

عبد الله شلبي

الإشراف العام:

محمد سامي

★★★



رقم الإيداع: 2011/13689

الترقيم الدولي: 9-41-6386-977-978

المهندسين-23 شارع السودان-تقاطع مصدق-الدور الرابع-مكتب 11

هاتف: 33370042 (02) (002) - 3885295 (012) (002)

البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

حمدي البابلي

"حب في الظهيرة"

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلى



مقدمة الناشر

كانت دار ليلى (كيان كورب) منذ ما يزيد عن 4 سنوات، قد أطلقت مشروعها (النشر للجميع.. ولمن يستحق) والذي نال استحسان الكثير من المواهب وقتها، والتي أصبح البعض منها كتابًا محترفين بعد ذلك، أو توجهوا لمشروعات ثقافية متنوعة، لمعوا من خلالها..

ومع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب – خاصة بعد ثورة يناير العظيمة– وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر،

التي تخيف طرفيها - الناشر والقارئ - على حد سواء..
وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت - وبشدة- اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرًا، إيمانًا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصًا منها على استمرارها في دورها، وإيمانًا منها - كما عهدتموها- بالشباب الموهوب..

لذا فقد قررت الدار إحياء مشروعها "النشر لمن يستحق" لفترة محدودة هذا العام، وعلى مراحل، وبشكل استثنائي، لعل ذلك يحرك المياه الراكدة.. آملين أن يحقق ذلك مجموعة نتائجها، على رأسها:

- توفير الفرصة للراغبين في النشر أن ينشروا أعمالهم، وأيضًا عبر دار نشر لها اسمها ولله الحمد، مع كبار الكتاب.

- تحقيق الأمان الاقتصادي للكاتب، حيث يضمن عودة ما دفعه بعد عام واحد، مع هامش ربح خفيف، إضافة للغرض

الأسمى، وهو أن يرى أعماله منشورة.

- تحقيق المصداقية والوضوح بين الناشر والكاتب، عبر شكل وبنود العقد الذي يعتمد على حماية الملكية الفكرية، كما هي عادة عقود دار ليلى.

- توفير عناوين جديدة ذات قيمة للسوق المصري، الأمر الذي يخدم العملية الثقافية.

ندعو المولى عز وجل أن يكلل مجهوداتنا بالنجاح، وأن ينال مشروعنا رضاكم، وكلنا ثقة بأن كثير من الأسماء التي تنشر من خلال هذا المشروع، ستصبح - مثل سابقيها- بإذن الله من اللامعين في مجالات ثقافية عدة.

الناشر



مقدمة

هذه هى مجموعة من القصص القصيرة، تم تدوينها فى أوقات متعاقبة، وهى رؤية شخصية للكاتب ينقلها إلى القارىء ليبدى فيها رأيه، فربما تلاقت الرؤى نحو الهدف الذى كانت من أجله القصة، فعين الكاتب هى فرشاة الوانه التى تنقل رسومها الطبيعية إلى صفحة الموضوع، لتكون لوحة فنية تنطق بمحتواها بداية من اضوائها الساطعة وحتى ظلالها الخلفية.

حمدي البابلي

الكاتب: حمدى نصر البابلى (حمدى البابلى)

البريد الالكتروني:

hamdy60@maktoob.com

الغربية / السنطة/ القرشية

تليفون: 040/5320982 – 0116890944

وحش الشاشة

تداعبنى اليوم ذكريات الصبا، كنا صغارا"تجمعنا صداقة الدراسة، فى أوقات الفراغ نلعب الكرة، وفى نهاية الاسبوع نلتقى على باب السينما الصيفية، حتى أدمنا أفلام وحش الشاشة (فريد شوقى) وصحبته التى لن تتكرر (محمود المليجى، وتوفيق الدقن)، ينتهى العرض فى التاسعة مساءا"ونعود أدراجنا سيرا" على الاقدام، تلفحنا نسمات الهواء المنعشة، نجرى ونلهو فى نهر الطريق، تتعالى ضحكاتنا مجلجلة تشق صفحة السماء، كان بيننا تنافس الفرسان فى أروقة الفصول الدراسية، لم نخذل أولياء أمورنا يوما"، ولم نعرف ماهى الدروس الخصوصية، كان بيننا صديقى جرجس، ذلك الفتى الالمعى المتقد الذكاء، ذات يوم

تلقينا منه عرضا" للذهاب إلى الكنيسة، كان جادا"شغوفا" بأن نلبى دعوته، لم نكن نعرف التفرقة بين الاديان، لم نستشر أولياء أمورنا فى ذلك الامر، تأنقنا وإرتدينا مانملكه من خيرة الثياب، وإلتقينا على باب الكنيسة الحديدى الضخم، أستقبلنا جرجس بحفاوة وتقدمنا خلفه بثبات غير معتاد لمكان جديد لم تعتده أقدامنا من قبل، مررنا فى ردهة طويلة تفترق على جانبيها مقاعد خشبية كبيرة تمتد الى حوائط جدران الكنيسة،جلسنا فى أماكننا وعيوننا تتابع كل مكان فى الامام ومن خلفنا، بهرتنا النقوش والالوان والصور، كانت تتدلى من السقف العالى جدا "ثريات مرمرية مبهجة تنبعث منها ألوان جذابة هى إنبلاج الابيض لخطوط الطيف، مازالت الاضواء ساطعة والزوار يتوافدون، تختلط فى الانفاس روائح عطرية مختلفة، نفرك أصابعنا إستعجالا" للعرض المبهر الذى وعدنا به صديقنا الالمعى، دقائق قليلة مرت علينا، كان يتعالى فيها صوت الاطفال المصاحبين لذويهم، حتى انطفأت الاضواء، ومر

من فوقنا شعاع كثيف يخترق الظلام ليصتدم أمامنا على لوحة العرض، توالت صورا" عدة، تجمع بين أماكن عبادة شهيرة ورجال دين رحلوا عن عالمنا مع شرح بصوت الكترونى فائق الجودة، مال أحدنا على صديقنا الالمعى وهمس فى أذنه (ما هذا العرض؟؟) قال (إنه عرض الفانوس السحرى)، لم يكن خيالنا يستوعب أكثر من ذلك مع الجهل المطبق علينا جميعا" لكوننا لا نمت الى هذه الديانة بأى صلة، لزمنا الصمت ونحن نتابع العرض والشرح، صوت طفل يجرح السكون، وكلمات هامسة تأمره بالصمت، بدئنا فى حركات التململ والتمرد لتشابه وتكرار الصور، حتى أنتبهنا على صور جديدة لفرسان تمتطى صهوة الجياد، حتى ارتفع صوت فجأة من بيننا قائلا "(فريد شوقى)،هنا توقف العرض وأضاءت الانوار، والوجوه كلها تقدح شررا" فى أتجاه مصدر الصوت، تقذمنا فى مقاعدنا، نحاول الاختفاء عن العيون، تملكنا الرعب والخوف، تخيلت مصيرى وأنا أبرح ضربا"، ممزق الثياب مطرودا" الى الخارج،

مصحوبا" بلعنات ذلك الجمع الغفير، إقتربت ساعة الحسم مع هبوط رهط من رجال الدين في غضب بالغ، الاقدام تقترب منا، وبدا على ملامحنا القلق والخوف، حتى وقف صديقنا الالمعى في شجاعة يحسد عليها، مازال مشهدها عالقا" بذهنى الى اليوم، قال بصوت راسخ (أبونا.. هؤلاء أصدقائى وقد دعوتهم الى العرض..أرجوك أن تسامحهم..أرجوك)، مرق الصف من بيننا وتقدم بثبات وقبل يد رجل الدين وهو راكع أمامه، تبدل الحال من حال الى حال، إنفرجت إبتسامة كبيرة من رجال الدين حتى بدت نواجزهم، وإمتدت الايادى تربت على أكتافنا برفق وتؤدة، حتى انتظمت معها دقات قلوبنا، فقد كانت صدورنا تعلو وتهبط من الخوف، لحظات قليلة مضت على ذلك المشهد، حتى وجدنا بيد كل منا بعض الحلوى والبسكويت، لم نشأ أن نكمل ذلك العرض حتى ننعم بأنفاس الراحة خارج أسوار الكنيسة، طلبنا الإذن بالخروج من صديقنا، لكنه توسل إلينا أن نكمل معه العرض ونخرج معا" في صحبتنا المعتادة،

لم نجد مخرجا" سوى أن نكمل العرض، مع إتفاق تام أقرته عيوننا أن نبرح صاحب العبارة الشهيرة (فريد شوقى) ضربا" تصحبه ضحكاتنا التى كانت عنوانا" لمرحلة الصبا.

حب فى الظهيرة

كان الأب جالسا "تحت ظلال شجرة التوت العتيقة خلف داره التى تعلوها أبراج الحمام،كان يتابع بشوق إبنه البكرى، ذلك الفتى الأسمر ممشوق القوام، مفتول العضلات، وهو يحرث الأرض الطيبة السمراء،على كتفه السوط القطنى، ويده اليمنى تمسك بمقبض المحراث الخشبى، الماشية تتابع سيرها فى خط مستقيم، تتفجر الأرض خلف سلاح المحراث أخاديدا" طولية، جبين الفتى ينضح عرقا "مع مضى الوقت، الشمس فى كبد السماء تلفح الوجوه نارا" مستعرة، يشفق الأب الجالس تحت الظلال الوارفة على إبنه كلما إقترب منه على حافة الحقل، يلمح جلبابه الذى بلله العرق حتى إلتصق بجسده، يرفع كفيه فى مواجهة إبنه ليكف عن العمل، يستدير الأبن

مع حركة الماشية ليتابع عمله في نشاط بالغ، مع وعده لابيه أن يكف عن العمل في المرة القادمة،ينتظره الأب على عجل، الشمس حارقة وهو يخشي عليه من قسوتها، حين إقترب الأبن هم الأب بالوقوف حتى يساعده في فك وثاق الماشية، إلا أن الابن غافله وإستدار بسرعة خاطفة في مشوار جديد.. جن جنون الأب من عناد ابنه الذى لايخشي على نفسه..

فكر الأب سريعا" كيف يوقف هذا الفتى الجامح في حر الظهيرة اللافح، عاد مسرعا" إلى الدار، ثم هرول مرة أخرى إلى الحقل قبل أن يستدير إبنه في مشوار العودة، ظل الأب يتابع سيره داخل الحقل خلف ابنه، حتى كاد أن يقترب منه، سمع الأبن دبيب الخطو خلفه، نظر ليستطلع الأمر، وإذا به يتوقف من فوره، يجرى مسرعا" تلك الخطوات القليلة، يصيح في والده في خوف ولهفة (لماذا جئت به يا أبى، ألا تخشى عليه من حرارة الشمس) ينتزع الفتى ابنه من على كتفي والده في لهفة، يضمه إلى صدره، يحجب عنه الشمس بظهره، وقبل أن

يهرول مسرعاً" عائدا" به إلى الدار، جذبـه الأب مـن جلبابـه، حتى تلاقت الوجوه، وقال لإبنه في نبرة الـواعظ: (أظنـك الآن قد علمت لماذا كنت آمـرك بـالتوقف، ألا تعلـم أننـي أب أيـضا" يخشى على ولده.. أظنك الآن قد إستوعبت الدرس جيدا").

شهقة إمرأة

كانت لى جدة غاية فى الطيبة والحنان، يرحمها الله ماتت وهى ممسكة بأرغفة الخبز الساخنة والفرن مازال مشتعلا فى صحن الدار، كان لها وجه مستدير صبوح مشرق بابتسامة جلية نديه، وكنت احبها جدا"واجلس على حجرها فتطعمنى كرات مستديرة من العيش والجبن القريش،يرحمها الله كانت سخية فى العطاء فتستخدمنى فى توزيع ما فاض عنها من حليب على منازل الجيران، لها اربعة اولاد ذكور وبنت واحدة هى اخر العنقود، كانت جميلة كجدتى، وهى فى نهاية المرحلة الاعدادية شبت فجاة وكبرت واكتملت انوثتها، تهافت الشباب على خطبتها، حين وقع الاختيار على واحد منهم اعترض اخوتها، فضلوا ان تكمل تعليمها، وكان راى

جدى هو الزواج ولا راى بعده، تزوجت عمتى وانجبت ثلاث بنات أخراهن روعة فى الجمال، عيون زرقاء وشعر ذهبى براق، وجه ابيض ناصع تغلب عليه الحمرة، وذات يوم ملبد بالغيوم، كانت تجلس جدتى كعادتها على أريكة طويلة امام الباب الخارجى لدوار المنزل، تمشط شعر هذه الحورية، إنتهت منها وهى فى كامل زينتها، فجاة دخلت عليهن امراة من الجيران، حين رأت الفتاة الصغيرة شهقت شهقة قوية، إنبهارا" لهذا الحسن والجمال، وانصرفت المراة بعدالسؤال عما جاءت من اجله، بدأت رحلة العذاب فقد امتلئت رأس الطفلة الصغيرة بقمل كثيف واضح وظاهر للعيان وهو يجول ويصول فى رأس المسكينه، إنزعجت الجدة وهى ترى هذه المأساة، وانكبت على رأسها من جديد تلتقط أسراب القمل حتى إنتهت منه، ووضعت على رأسها قطرات الجاز الابيض وعصبت رأسها بعصابه وهدهدتها حتى نامت، وحين استيقظت الطفلة المسكينه فكت رأسها على عجل لترى ماذا فيها من جديد،

وإندهشت حين رأت القمل قد زاد عما رأته اول مرة، هداها تفكيرها ان الطفلة تسكنها روح شريرة، نادت عليّ بإحضار الحمار من الحظيرة وتجهيزه، إمتطت جدتي ظهره وحملت الطفلة وانا أجره جرا" في رحلة المسير الى قرية مجاورة لقريتنا، بعد مشوار طويل وقف الحمار عند باب خشبي عتيق ضخم طويل وكان مفتوحا"، ودخلنا الى صحن الدار واستقبلتنا امرأة طاعنه في السن ترتدى جلباب ابيض وطرحة بيضاء وبعد همس بين جدتي وصاحبة الدار، وجدت عددا من النسوة يرتدين ذات الجلباب الابيض وبدأت الطبول تدق وإنهمك الجميع في تطويح الايدى والرأس يمينا ويسارا في حلقة هي حلقة الزار والطفلة في وسط الحلقة تتطلع في ذهول وإستغراب مما يدور حولها وفي النهاية تنهك هذه الاجساد من التعب، تتساقط ارضا"، وتنتهي حفلة الزار ونعود ادراجنا،والطفلة مازال القمل في رأسها، ولما اعيت جدتي الحيل أشارت عليها صديقة حميمة لها أن سبب هذة المأساة هو جمال هذه الطفلة

الطاغي ولابد ان تدخل عليها ذات المرأة التى شهقت فى وجهها وهى فى حالة مزريه تستدعيها لان تشهق من جديد، عندها يزول القمل، وفعلا أتت بالحلاق ليحلق شعر الطفلة الذهبى حتى فروة الرأس وأمرتنى ان أحضر لها بعض الخرق البالية من أكوام السباخ المنتشرة بالقرية وأحضرت طبقا وأحرقت فيه الخرق البالية الرثة حتى تفحمت تماما ووضعت على هذا السخام الاسود بعض الزيت حتى صار معجونا ودهنت رأس الطفلة به حتى صار منظرها بشعا فعلا،وقالت (إذهب الى فلانه وقل لها جدتى تريدك فى أمر هام)،ودقائق وحضرت المرأة خلفى وما أن دخلت حتى شهقت نفس الشهقة الاولى من منظر الطفلة العجيب، وقالت لها جدتى(هناك بعض اللبن الرايب فائضا عنا خذيه لاولادك)، وفرحت المرأة وهى تدعو لها بطول العمر،وتركت جدتى الطفلة يومين على هذه الحالة وغسلت رأسها ونظفته، وظلت تنتظر النتيجة والمذهل أن القمل إنقطع نهائيا من رأس الطفلة وعادت الفرحة الى وجه

جدتى من جديد، وأنا أتطلع إليها وهى تصنع لى كرات العـيش والجبن القريش.

قصة أم

كـان حتمـا" أن أحكـى قـصتها فـى يـوم عيـدها، رغـم استهجانى لكونه يوما" واحدا" فـى العـام، فهـى تـستحق عـن جدارة كل السنين والايام، لم تكن أما" عادية تنتظر أن ينقضى اليوم بسلام فتنام، كانـت رغـم بـساطتها وتواضـعها وانكارهـا لـذاتها، تتحمـل وتـصبر علـى المكـاره والهـوان، تجمـدت فـى مآقيها الدموع حتي لاتشعر بلحظة ضـعف تكـسر فـى داخلـها أعمدة الارادة التى استطالت فى نفسها مسلات فرعونية نقشت على جدرانها آيات التحدى، وانتصارها على الهموم.

قروية ساذجة تستطيع أن تـستنطق مـن قـسمات وجههـا ذلك المعنى، نزحت الى المدينة مـع زوجهـا وأولادهـا، لم تكـن تسطيع أن تغادر جـدران منزلهـا الـصغير خـشية أن تتـوه فـى

زحام الشوارع الرحبة وطوفان البشر، كان الزوج لايرى الا نفسه وذاته، مهيمن مسيطر لاترد له كلمة، كان لابد لها أن تتحرك وتهبط درجات سلم المنزل الى الشارع.. الى المتاهة الكبرى لتتسوق الطعام وتسد رمق الافواه الجائعة، لم تكن تقرأ أو تكتب ولاتعرف أسماء الشوارع وأرقام المنازل، تاهت الام فى متاهة المدينة، وضعت سلتها الى جوارها، كانت تستأذنها الدموع الحائرة فى عينيها لتسيل على وجنتيها لتخفف حرارتها الا انها لم تأذن لها أن تتساقط، تأخر الوقت وهى تسعى جاهدة لتستدل على علامة أو مشهد يذكرها بالمكان ومنزلها، عادت الام تحمل سلتها على رأسها بعد أن انطبع المكان فى ذاكرتها كى لاتنساه مرة أخرى، كانت الافواه الجائعة غاضبة تزمجر، لم يسألها أحدا" كيف كانت ولماذا تأخرت، تأقلمت على المدينة وأهلها، احتضنت صغارها، تحملت بخل زوجها حين شكت اليه ضيق ذات اليد للمصروف الشهرى الذى يمنحه لها أول كل شهر، تدبرت أمرها على

قاعدة الاهم فالمهم، كانت تحمل اسطوانة الغاز على رأسها مسافة طويلة لتوفر قروشا "قليلة بدلا" من شرائها من أمام المنزل، تشترى خضار الاسبوع من أحد أسواق الجملة القريبة، لم تكن تترك اولادها يذهبون الى تاجر المقررات التموينية أول كل شهر ليتفرغوا لمذاكرتهم، عادت كسيفة البال مهمومة الخاطر حين نهرها البائع لعجزها عن التوقيع فى سجل صرف المقررات التموينية، سألها اولادها..لماذا تبدو حزينة، فقالت لهم علمونى القراءة والكتابة، جلست الى جوارهم ومعها الكراسة والقلم تكتب الحروف الهجائية لاول مرة فى حياتها، أحست بالمهانة أمام ذلك التاجر، ارادت أن تنجز هذا التحدى قبل حلول مطلع الشهر لتنظر الى التاجر النظرة التى تمنتها في قرارة نفسها وهو يراها توقع باسمها والدهشة تتملكه، انتصرت الارادة فى داخلها فقرأت وكتبت خلال ثلاثون يوما" فقط، كان القدر رحيما" بها مشفقا" عليها فأكرمها الله فى أولادها حين تفوق الابن الاكبرفى الشهادة

الابتدائية والاصغر على المركز الاول فى الترتيب العام للصف الرابع الابتدائى مع شهادة تقدير من المدرسة، لم يكن الاب من النوع الذى يجازى ويحنو ويمدح، كان يقول لهما هذا هو مايجب أن يحدث ولن أسمح بغيره، هذه وظيفتكم فى الدنيا حتى انتهاء الدراسة، تمنحهم الام قروشا" قليلة للتنزه بها مكافأة منها على التفوق، كانا يعلما أن ذلك هو أقصى ماتستطيع منحه لهما، لم ينسيا ذلك الجميل لها، يدخر الاب بعض الاموال وقرر أن يتاجر بها فى الاقمشة، عرفه الناس وراجت تجارته وتدفقت الاموال بين يديه، لم يحس ابناؤه وزوجته بأثر تلك النعمة عليهم، فمازال الاب يدخر الاموال، تعرفت عليه امرأة لعوب كانت فى الجوار، انشغل بها، أغدق عليها الاموال، تغيرت معاملته لزوجته وأولاده، أحست الام بالتغير الواضح فى سلوك الزوج، وأدركت بغريزة الانثى أن هناك أمرأة فى حياة زوجها، فاتحته بصراحة ووضوح فلم ينكر، قالت له اتقى الله فى محارمه، انهال عليها ضربا" أمام

ابنائها، لم يكن أحد يجرؤ على التدخل أمام هذا الوحش الكاسر، حنق الاولاد على ابيهم، أصابتهم عقدة لازمتهم حينا" من الزمن، فقد تكرر مشهد الاعتداء على أمهم مرات عديدة، صبرت من أجل أولادها وتحملت وجراحها تنزف وكرامتها تهان وتنتهك من أجل امرأة لا ضمير لها ولا خلاق، ارادت ان تضع حدا" لهذه الاهانة، ذهبت الى أبيه تشكو له ابنه وتحكى له ماكان، شمرت له عن ذراعها الذى تجمعت فيه الدماء من آثار الضرب، لم تخبر أهلها بما يحدث لها ابدا"، كانت تضحك فى وجوههم وهى تتمزق الما"، لم يرتدع الزوج من تعنيف والده له بل زاد وتمادى فى دنيا الخطيئة والملذات، يتخرج الابناء من كليات القمة، الابن الاكبر طبيبا" ماهرا" فى تخصصه، يكمل دراسته العليا حتى درجة الماجستير، يسافر الى احدى البلاد العربية، أحبه الناس هناك، يرسل الى أبويه دعوة لاداء فريضة الحج، يتهرب الاب وتلبى الام الدعوة، يتخرج الابن الاصغر مهندسا" وينتظر قرار

تعينه معيدا" بالجامعة، لم يصبه الدور فى التعيين، قرر أن يكمل دراسته العليا، حتى حصل على درجة الدكتوراه ويعين مدرسا" بالجامعة، يسافر هو الاخر الى دول النفط بحكم تخصصه، قرر أن يحج والديه عرفانا" بالجميل لهما، يذهب الوالدين معا" هذه المرة، أثناء المناسك تتعلق الام بأستار الكعبة، تخور قواها، تجثو على قدميها، تركع لله آخر ركعاتها لتفيض روحها الى بارئها وسط الكرة الارضية تماما" وكأنها تودع العالم بأسره وهو ييمم وجهه اليها من كل حدب وصوب.

التفت الساق بالساق

تقول التوراة لمعتنقيها، إقتلوا كل جيرانكم القريبـون مـن دياركم، النساء والاطفال والرجـال، وأمـا مـن يبعـدون عـنكم، فـأقتلوا ذكورهم، كانـت الأنبـاء تتـواتر سماعـا "لـسكان القـرى العربية، أن اليهود قد قتلوا من وقع تحت أيديهم مـن الرجـال والاطفال في القرى المجـاورة، وأنهـم يـسلبون النـساء حلـيهم الثمينةوالأموال، وأنهم علـى مـشارف القريـة، هـرب الرجـال خوفا"من المصير المحتوم ومعهـم أبنـائهم تحـت سـتار الليـل، شعرت النسوة بالحزن واليتم الذى خيم على البيوت، باتت كل واحدة منهن تفكر كيف تخفي حليهـا ومـصاغها قبـل أن يـأتى الجنود بحثا" عنها، طرقت إحداهن باب جارتها للتشاور معها

فى الأمر،لكنها وجدت الحل أمامها حين رأت جارتها تدس مصاغهامع إبنها المعوق، لم تفكر وبادرت بخلع حليها وأحكمت عليه الوثاق بقطعة من قماش ودسته معه إيضا"،وهمت لتخبر بقية النساء بالخبر،حتى أصبح ذلك الطفل المعوق كنزا "ذهبيا" يحتوى على كل نفائس القرية،فمن هو الذى سيفكر فى إيذاء ذلك الطفل أو الإقتراب منه، داهمت القوة المنازل بحثا" عن الرجال دون جدوى، جن جنونهم، حتى وصلوا إلى دار الطفل المعوق، سألوا أمه عن المكان الذى هرب اليه الرجال، وبادرتهم بالنفى، لم يجدوا بدا" من إنتزاع الطفل من أمه لحثها على الإعتراف، لكنها صمدت كالجبل الشامخ أمام الرياح العاتية، حمله الجنود إلى السيارة ثُم غادروا المكان، إنقطعت الأخبار عن الرجال وذلك الطفل المسكين، الأم أضناها البحث والإستعلام فى كل مكان يدلها أحدا" عليه بإحتمال تواجد طفلها فيه، حتى يأست تماما" وأسلمت أمرها لله، مرت السنوات والسنوات، حتى كادت

ذكرى تلك الليلة أن تمحى تماما"، ففى ليلة من ليالى الشتاء إجتاحت السيول القرية لتجرف معها الرمال والكثبان، حتى هدأت قوة ذلك السيل الجارف، وأصبح للناس حرية الحركة والتنقل، لتقع عينهم على مقبرة جماعية كانت على حدود القرية، مجموعة عظام عرتها الرمال التى جرفها السيل، كانت العظام تحمى بعضها البعض، توافد الناس على المكان، كل أسرة تبحث عن فقيدها، حتى صاحت أم الطفل المعوق (هاهو إبنى، لقد عاد إلىّ مرة إخرى)، كانت ساقيه على بعضهما تحمى إحداهما الأخرى، كانت كل القرية تعرفه بعلامته المميزة، بل كان هو الدليل الأكيد على أن تلك المقبرة لرجال القرية الذين قبض عليهم إثناء عملية الهروب، حملت العظام والجماجم لدفنها فى مقابر القرية بعد إعادة مراسم الدفن الشرعية، بينما حملت الأم ساق إبنها الخشبية، وتبعتها كل نساء القرية.

والقاتل أبوه

القريـة هادئـة يخـيم عليهـا الـسكون حـين يلفهـا الليـل بعباءته السوداء، ونهارها يبدأ مع خيوط الفجر الاولى، يخـرج الفلاحـون فـرادى وجماعـات الى الحقـول مـن أجـل معاشـهم، والقلوب نوايا، منهم من إرتضى القناعة بما قسم الله لـه رزقـا" طيبا"، ومنهم من لفه الطمع بخيوطـه الواهيـة، كـان يحلـم أن تزداد رقعته الزراعية فيصبح من الأعيان، واصل ليلـه بنهـاره على جراره الزراعى يدرس القمح فى الأجران، ويحرث الارض لغيره، يجمـع الامـوال ليحقـق الحلـم الـذى راوده فـى صحوه ومنامـه، كـبر ولـداه وزادت رقعتـه مـن الارض، ينهـى إبنـه البكرى شهادته المتوسطة، لزم والده فى الحقل ليعاونه، حتـى إعتمد عليه بعد أن أتقن أصول الفلاحة، كان والده فرحـا" بـه،

فبنى له مسكنا" لزواجه، ذات يوم كانت سحبه ملبدة بـالغيوم
يشكو الابن من صـداع رهيـب وعـدم وضـوح للرؤيـة، إصـطحبه
والـده الى مستـشفى القريـة لـيراه الطبيـب، يتنـاول العقـاقير
بإنتظام، مازالت الاعراض مستمرة، والرؤية أصبحت ضبابية،
يستشير المقربون من ذويه، كان بينهم طبيبا" حديث التخرج،
نصحه بالعرض على أستاذ متخصص بالعاصمة، بعـد التحاليـل
والاشعة المقطعية، كانـت العلـة واضـحة، ورم بالـدماغ يحتـاج
العــلاج الـسريع، يجـوب بــه مستــشفيات الاقـاليم، يجمـع
المختصون على إزالـة الـورم علـى وجــه الـسرعة، وأن العمليـة
تكاليفها باهظة الثمن، كانت الدعاية الانتخابية علـى أشـدها،
يحصل على علاج على نفقـة الدولـة، مـسكنات وأدوية،الحالـة
تسوء يومـا" عـن يـوم، يتـدخل الاهـل وذوى القربـى بـضرورة
العملية، كان عذره بأن الامـوال لاتكفـى، يـسأله أحـدهم وهـل
الارض أغلى من ولدك، يطرق بنظره أرضا" ولايجيـب الـسائل،
كان يفكر فى حلمه القديم أن يصبح من الاعيان، وهـا هـو ولـده

يعرقل هذا الحلم بمرضه المفاجىء، ينصرف عنه الناس ويبقى مع المرض وإبنه، ظل يصارع نفسه والايام تمر، حتى توفى هو مع حلمه القديم، ساءت حالة الابن لايبرح فراشه بعد أن كف بصره، يعرضه شقيقه على مختص فى المخ والاعصاب، إستفحل الورم وإستشرى بالدماغ ولا أمل فى الانقاذ، واليوم صرخ مكبر الصوت بالمسجد القريب ناعيا" ذلك العريس إلى السماء مع زمرة الاعيان.

صفعة بصفعة

فــى بــواكير الــصباح الاولى، تنــشط حركــة البيــع والشراءبسوق القريـة، يجـر عـم أحمـد أحـد عجولـه الثمينـة لبيعه، وماكاد يدخل سوق المواشى حتى التف من حوله راغبـى الشراء، فلاحون وتجار، لم يمض من الزمن الكثير حتى قبض الثمن فى فرح وسرور، هم فى وضـع نقـوده بحافظتـه الجلديـة الكبيرة، حتى أطبق عليه إبنه الوحيد الـذى كـان يتـابع البيـع عن بعد، طالب والده بكامل ثمن العجل، ينهره الوالـد ويعنفـه بعد أن حملقت فيهما العيـون، أمـسك الابـن بتلابيـب جلبـاب أبيه يدفعه دفعا "أمامه، يحاول الأب عبثا"، فلم تـسعفه قـواه فى رد العدوان، يمد الابن يده وينتزع النقود مـن قبـضة أبيـه، يتمالك الأب نفسه ويستجمع قواه لاسترداد مافقد منـه، حتـى

بادره الإبن بصفعة قوية طرحته أرضا"ومعه كرامته تدوسها الاقدام، يرقد الأب عليلا" طريح الفراش،لم يطل به المقام حتى إنتقل الى جوار ربه، ينعم الإبن المدلل مع شقيقته الوحيدة بثروة أبيه، أطيانا" وأموالا"، ينفق ببذخ وسفه، وفد عليه أصدقاء السوء من كل صوب، زوجه أحدهما بإبنته، صرف عنه البقية لينفرد بالغنيمة، توالت المشروعات الخاسرة، حاول ذوى القربى إنقاذ البقية الباقية من أجل أولاده، ضرب بكل النصائح عرض الحائط، حتى وقع فريسة لامرأة لعوب، أغدق عليها مالذ وطاب، حتى عاد بخفى حنين، يجر أذيال الخيبة والندامة، لم يطق صبرا" على ضيق ذات اليد، لاطف شقيقته التى لم يدم زواجها عاما" واحدا" عادت بعده مطلقة الى بيت أبيها، حتى يتمكن منها ويستولى على أملاكها بتوكيل عام، ترفض عرضه بشدة بعد تبديده لثروته وحكايته التى تتناقلها الالسن دعابة وسخرية، تنجح فى استثمار ثروتها بمعاونة أولاده،كانت مزرعة لتربية العجول وتسمينها، وفى اليوم

المشهود فى ذات المكان بسوق القرية، يمسك الاب بتلابيب جلباب إبنه، يهزه بعنف ويستجديه أن يعطيه بعض الاموال، يرفض الابن بشدة طالبا" تدخل الناس من حوله، يبصق الأب على إبنه أمام الجمع الغفير، يحاول انتزاع بعض النقود من جيب الجلباب، حتى حصل عليها، ثم عاجله بصفعة قوية عقابا" له على استجداء الناس لعونه، تلمع بوادر الشر فى عين الأبن، يلعب الشيطان معه أحلى أدواره، حتى صرخ صرخة قوية لفتت معها كل انتباه، ورفع يده اليمنى ومال بجذعه الايمن الى الوراء ممرجحا" ذراعه فى الهواء ليهوى بصفعة على وجه أبيه رن صداها فى أذن شهودها، يهوى الأب على الارض غارقا" فى بحر من الدموع والذكريات.

ليتها كانت يدى

تربى تربية صارمة ظلت تفاصيلها عالقة بذهنه،حتى بعد أن دلف الى حضارة المدينة نازحا" من أعماق الريف سعيا" لرغد العيش، تأقلم مع إيقاع الحياة السريع، عمل كالآلة التى لا تتوقف تروسها عن الحركة، لم يكن له خيار آخر لاطعام الافواه الجائعة، ومتعته الغالبة أن يلقى بجسده المنهك على الفراش ليغط فى نوم عميق، يصحو على حلمه الذى إتخذه هدفا" لايزوغ عنه بصره قيد أنملة، أن يرى أولاده فى أعلى عليين، يتبوؤن المكانة والسمو، كان يزعجه دوما" أن ينصرف أحدهما عن تحصيله الدؤوب، يجلس فى ركنه المنزوى بضوئه الشاحب يرقبهم عن بعد وهم منكفئون على الكتب والمراجع، يكبر حلمه يوما" بعد يوم، لم يسعفه تعليمه المتوسط ان يشد

من أزرهم بكلمات الثنـاء والتحفيـز، فماتلقـاه مـن تربيـة فـى النشئة الاولى وتاثره بها، كانت فـى رأيـه سببا" فـى صـلادته وتحمله غوائل الدهر ونكباته دون أن ينحنـى لـه عـود، هكـذا كانت نظرته للامور، وهكذا أراد أن يكـون أولاده، لكـن أصـغر ابنائه عبد الرحمن تمـرد علـى القيـود والاعـراف، طفـل ذكـى يقدح جبينه حمرة مشوبة دوما" بقطرات العرق من فرط طاقتـه المتأججة، فهكذا كل الاطفال يبـددون هـذه الطاقـة فيمـا يحلـو لهم من لعب ولهو، لايمر يوم الا وفى أعقابه شكوى وتذمر من الجيران فى حق عبـد الـرحمن، ضـاق الاب الـصارم ذرعـا" مـن كثرة ماتلقى من العتاب، تفنن مع إبنه بكل ألـوان العقـاب، لم يرتدع الابن رغم كل ذلك، فلم يجد من يقوم سلوكه عـن درايـة ووعى بتفاصيل مرحلته العمرية، أحس الاب بوازع من رسـوخ معتقده القديم، أنه فى مأزق أمام أفراد عائلتـه لفـشله فـى ردع هذا الابن، بات يفكر فى طريقة حاسمة للعقاب، كأنها موقعـة حربية بين خصمين لدودين لابد لها من منتصر، وماكـاد نهـار

اليوم يطوى ضحاه، حتى عاد عبد الرحمن الى منزله عدوا"، فى أعقابه رهط من أقرانه يتوعدونه بالنيل منه والويل والثبور، تنقذه الام من بين أيديهم على عتبة الباب، يتلقى الابن صفعة قوية حينما رأت الام قميصه ممزقا"، حين عاد الاب الى المنزل سردت على مسامعه ماكان، ينهض الاب غاضبا" مزمجرا"ينادى عليه، يرتجف الابن رعبا"، يجره الاب جرا" الى الغرفة، يأتى بحبل، يقيد معصم الابن بعنف حتى أحكم وثاقه، يربطه الى عامود الفراش، يغلق عليه باب الغرفة، يتوعد بصوت جهورى كل من يقترب من الغرفة لانقاذه، يصرخ الابن بعد مرور الوقت متألما"، يشعر الاب بسعادة، ظنا" منه أنه قد إهتدى أخيرا" إلى الطريقة المثلى للعقاب، مازال الوقت يمر بساعاته والابن تزداد صرخاته وتعلو شدة، ولاحياة لمن تنادى، تتوقف الصرخات، يهدأ الاب قليلا" فذهب لينام بعض الوقت، الام حائرة مترددة يأكلها قلبها الواهن على ابنها، قررت أن تفتح باب الغرفة قليلا"، تنادى

عليه همسا" وفى يدها طبقا" وضعت به الطعام، لم يتجاوب معها ابنها كعادته، لكنه وبصوت حزين تغلبه المرارة يرفض الطعام، تضىء الام مصباح الغرفة، تشهق شهقة مدوية بعد أن لاحظت تغير لون كف ابنها تماما"، تنادى على الاب والاولاد، يهرع الجمع الى الحدث، يفك الاب وثاقه، يعبث بكف إبنه التى تغير لونها، يأمره أن يحرك أصابعه، يرتعد الابن خوفا"، يطير به الى المشفى، يقرر الاطباء بتر الكف اليمنى، يضرب الاب جبهته العريضة بحائط المشفى مرارا"،يتفجر الدم الغزير منها مع صيحاته المدوية ليتها كانت يدى.. ليتها كانت يدى.. ليتها كانت يدى، لم يعلق أولاده الجلوس على المقاعد البلاستيكية ببنت شفة سوى شلالات الدموع الجارية من العيون، تخور قوى الاب، يهوى فى مكانه يحاول تجفيف دمائه، يطرق الى الارض واجما"، يتجمد فى عينيه الحلم الاكبر.

قصة رضيع

بعد أن أنجب إبنه البكرى من زواج تقليدى، عرف قيمة والديه، ففى ساعة متأخرة من الليل فزع من نومه على بكاء مستمر، الأم تبذل قصارى جهدها لإسكاته دون جدوى، يخرج الى الردهة ليتابع الموقف عن كثب، يحمله بين ضلوعه، يهدهده ويربت على ظهره برفق، يشهق الرضيع شهقة الإطمئنان فقد كف عن البكاء تماما"وتأهب للنوم على كتفيه، لم يصدق نفسه حين تلاقت ضربات قلبه مع دقات قلب إبنه الرضيع، ظل يروح ذهابا" وإيابا" فى الردهة، تذكر والده فى تلك اللحظة، يحدث نفسه (لابد أن والدى كان يفعل معى نفس الشيء لينام)،تزداد محبته لوالده عن ذى قبل، حين يعود من عمله يطمئن على والديه،ذات يوم تمرض أمه، لا تتحسن

حالتها بعد زيارة الطبيب، يأتى بغيره ربما أخطأ الاول فى التشخيص، وأيضا" مازالت على حالها لاتبرح الفراش، الدموع حائرة بين مقلتيها وهى تنظر الى إبنها نظرات لها معنى، كانت تريد أن تبثه شكواها، لكنها آثرت الصمت كى لاتفسد سعادته وفرحته بإبنه البكرى، لكنها لم تتحمل الصمت طويلا"، قررت أن تستريح لتنهض من فراشها، فلم يكن مرضها عضويا"، بل نفسا" ذبيحة من إهانة قاسية لها على مرأى ومسمع من الناس بالسوق، كانت زوجة الابن تتسوق مع شقيقتها، تقترب الام لتلقى عليهما تحية الصباح، تبصق فى وجهها شقيقة الزوجة مع إهانات متلاحقة، لم تتحمل الام تلك الاهانات تعود لفورها الى بيتها بعد أن إرتفع ضغط دمها إلى الحالة الحرجة، تلقى على مسامع إبنها ماجرى وكان، ينتفض الإبن مذعورا"مستنكرا" هذه الفعلة النكراء، يعود إلى زوجته ليستمع إلى ماحدث منها، تقر الزوجة بما حدث، وتعدد مساوىء الام وما تفعله معها، يأمرها بأن تذهب إلى

بيت والديها فورا"، تحمل إبنها الرضيع ومتاعها، يتدخل الاهل فى إصلاح ذات البين دون جدوى، تظل الزوجة فى بيت أهلها أكثر من ستة أشهر، كان يغلبه الشوق لرؤية رضيعه، لكنه يتذكر ماحدث لامه فيطوى عذاباته بين ضلوعه،يعود شقيق الزوجة وولى أمرها من غربته بإحدى الدول العربية بعد أن علم بما حدث، يذهب الى زوج شقيقته ليستوضح الامر منه، يطلب منه أن تكون جلسة الصلح فى منزلهم، يذهب الزوج بمفرده الى هناك، تتعالى الاصوات بين شد وجذب وتراشق بالكلمات، يطبق شقيق الزوجة على فم الزوج بعد أن هم ليلقى بيمين الطلاق، تنزاح ستارة شفافة على طفل رضيع يحبو، يخترق مجلس الرجال متجها" الى والده، يمسك بطرف ثوبه، يتطلع إليه، تنفرج شفتيه عن إبتسامة تذوب معها القلوب، ينحنى الاب ليلتقط إبنه، يحتضنه بشوق المحب الولهان، تنحدر على خديه قطرات ساخنة لم تقو على منعها عينيه، تتلاقى دقات قلبيهما معا"، يتنهد الرضيع، يضع رأسه على

كتفه، يطبق عينيه، يسود الجمع وجوم تام، فقد فغر الكل فـاه من روعة المشهد وحكمـة الخـالق التـى وضـعها فـى قلـب ذلـك الرضيع ليتعرف على أبيه من بينهم، تجمع الزوجة أغراضـها دون إذن من أحد، تتأبط ذراع زوجـها تحثه على الخـروج وفـى عينيـها عناوين كبيرة لاخطاء صغيرة.

طفل الخطيئة

يجلس موسى مع أم أولاده على عتبة سلم منزله المرتفعة عن حرم الشارع أمامه، يلتمس نسمات الهواء العابرة هربا" من حرارة الغرف المغلقة، كان يوما" من أيام أغسطس الملتهبة بقيظها، يعبث فى خصلات شعره ليتأكد أنها مازالت على فروة رأسه بعد أن تساقط منها الكثير جراء العلاج الكيميائى بجرعاته المتزايدة جرعة تلو أخرى،كان قد توقف عن العلاج الشهرى للجرعات بأمرالاطباء بعد تحسن حالته، تفاتحه أم الاولاد فى أمر أبنة جارهم التى حملت سفاحا" وتنكر لها العاشق الولهان، يبادرها موسى بكلمات جافة مقتضبة رافضا" التدخل، كأنه يحدث نفسه بأسباب الرفض بعد أن فشل رهط كثير من الناس فى التوفيق بين الاسرتين،

كانت القرية تعلم بأمر الفتاة منذ بـدا حملـها واضـحا" للعيـان وهرب العاشـق الى القـاهرة محـل عملـه أمينـا" للـشرطة بأحـد أقسامها المترامية على محيطها الرحب، خشي موسى أن يقحـم نفسه فى هذا الامر وهو المريض بالسرطان ولا حول له ولا قوة، وأن يكون سببا" فى جلب العاشق الى القرية لاصـلاح مـا أفـسده بنزوته العابرة ثم تقتله عائلة الفتـاة الـضحية بعـد أن أقـسمت بذلك على مرأى ومسمع من أهـل القريـة، لكـن ملائكـة الخـير كانت تحيطه فى أيام شهر شعبان الاخيرة، حتـى أذكـت فيـه كل بادرة خير بداخله، وضع يده على رأسه المتعب من التفكير العميـق فـى الامـر، ثـم بـادر زوجتـه الى جـواره بعزمـه علـى التدخل في الامر لاحساسه اليقينى أنـه سيوفق بتوفيق من الله، لكنه قال لها : (وكيـف لى أن أتـدخل لحـالى ولم يكلفنـى أحـد بشيء، وأخشى لـو عرضـت الامـر علـى والـد الفتـاة أن يـرفض طلبى)، لم تمر دقائق وهو مازل على حاله جالـسا" علـى عتبـة بيته الا ومر عليهما عم الفتـاة، فنـادى عليـه وعـرض التـدخل مبررا" مسعاه بثقته بتوفيق الله له، شد على يديه الرجل وقـال

له توكل على الله بتفويض منى وشقيقى، قال موسى: (مادام الامر كذلك ان شاء الله سأسافر الى محل عمل ذلك الهارب قبل حلول رمضان)، بعد صلاة العشاء يطرق باب موسى والد الفتاة بعد أن أخبره شقيقه بتدخل هذا الجار الطيب حلا" لهذه المأساة،يلمح موسى فى عينى الرجل ذل الانكسار وكأنه يقول له أرجوك أن تذهب الآن قبل الغد، فليس بعد الشرف كلام يقال، استحلفك بالله أن تنقذنى وعائلتى من هذه الفضيحة التى لا ترفع بعها الرؤوس، يستقبله موسى ويؤكد عليه بسفره خلال اليومين القادمين على وعد منك الا أكون أنا سببا" فى أى عمل طائش لهذا الشاب عند عودته للقرية، يؤكد والد الفتاة بأنه لن يفعل معه شيئا" اكراما" لتدخلك، يذهب موسى الى عم الفتاة المقيم بالقاهرة ليبيت عنده ليلته شارحا" له ماوعده به شقيقه من عدم التعرض لهذا الشاب بسوء، فى الصباح يتوكل موسى على ربه قاصدا" محل عمل الشاب حتى اهتدى اليه وقص عليه ماكان من والد ضحيته، وأنه اذا عاد معه وأصلح ما أفسده سيكون خيرا" وبركة له، فطفل خطيئته على مشارف

الخروج الى دنيا الشقاء ودار الفناء، ولابد أن يسجل بأسمه فى السجلات الرسمية، يتصنع الشاب بالموافقة ويعده بالتفكير فى الامر وسيكون بينهما اتصالا" هاتفيا" على التفاصيل، يعود موسى أدراجه الى القرية، يخبر والد الفتاة بما دار بينه وبين العاشق الهارب، ينتظر الطرفين على مضض ذلك الاتصال الهاتفى، القلق يتصاعد حد الثورة والغليان ولم تلح فى الافق أى بوادر لانفراج الازمة، تتوالى أيام رمضان ويتلقى موسى اتصالا" من زوجة شقيق العاشق الهارب تحثه على تكرار الزيارة لهذا الآثم المعتدى على حرمة الولايا، يقرر موسى السفر مرة أخرى مستشعرا" البركة من أيام هذا الشهر الفضيل الذى سلسلت فيه الشياطين بالاصفاد، يلتقى موسى بالشاب فى منزل شقيقه بالقاهرة ويدور بينهما حوار طويل مشوبا" بلغة التهديد فيما سيؤل اليه مصيره اذا قرر التنصل من فعلته، وأنه كفيل بحمايته والحفاظ على كرامته حد العراك مع أى أحد يتعرض له بالقول أو الفعل، يرضخ الشاب لموسى ويؤكد على عزمه الاقتران بالفتاة وتصحيح خطأه الفاحش، على أن

يكون الصلح فى منزل موسى أول أيام عيد الفطر المبارك، يقف موسى ذو الجسد الهزيل والقلب الجسور ليعانق الشاب وهو يدعو له بالهداية والرشاد وأن يوفقه الله لما فيه الخير، وقبل أن ينصرف يؤكد عليه بالميعاد المتفق بينهما والا يخذله لانه ستترتب على ذلك عواقب وخيمة لن تنجو منها اسرته وعائلته كاملة"، يؤكد الشاب على الحضور صبيحة يوم العيد وسيكون اللقاء بعد صلاة الجمعة مباشرة، يطلق موسى ساقيه للريح فرحا" ويود لو أن الريح تحمله بسرعة البرق الى القرية ليزف الخبر السعيد على مسامع الفتاة وأهلها، يعود موسى عودة المنتصر الفاتح الى داره أولا"، تستقبله زوجته التى قرأت نتائج رحلته من قسمات وجهه الباش، ينطقان فى نفس واحد الحمد لله، تلد الفتاة ابنها قبل العيد بثلاثة ايام، تنظر الى رضيعها نظرة الم وانكسار لما حل بها وعائلتها من شهور سوداء عاشتها بين جدران اربع تتحاشى فيها النظرات القاتلة المسمومة من عموم الناس، فعقاب المجتمع هو أشد وأقسى من عقاب القانون، تلوم حالها يكاد يقتلها الندم على نزوتها العابرة

التى كلفتها العار والفضيحة التى ستقترن بها دهرا" طويلا"، ينتهى جمع المصلين من صلاة الجمعة، وتعج دار موسى برهط من أهل القرية يتوسطهم العاشق الذى جاء ليبدى ندمه يطلب الصفح والمغفرة من أهل قريته عامة" وأهل فتاته التى غرر بها خاصة، يفتتح موسى الجلسة بقراءة الفاتحة يعقبها بتشديده على الحضور أن يلتزم الجميع برباطة جأشه حتى ينتهى اللقاء على خير ان شاء الله، يفسح الجمع لمأذون القرية ليجمع بين يدى الشاب ووالد عروسه، يقترن الشاب بها رسميا" على مشهد ومرأى من الحضور، تنطلق الزغاريد تخترق سقف المكان، يتلقى موسى التهانى من كل الحضور كأنه العريس المحتفى به من لحظات مع الدعوات الخالصة له لمسعاه الحميد المكلل بتلك النهاية السعيدة فى أول أيام العيد.

حسن الخاتمة

عقب كل صلاة كانا يبتهلأن إلى الله أن يرزقهما من فضله، يقتطع الزمن من عمرهما عاما" تلو الآخر، ومازالا يبتهلان، يزداد الخشوع وتغلب المذلة إلى الله، أن يرزقهما من يؤنس وحدتهما فى نهار الكد والتعب، وليل الوحشة والسكون، تقدم العمر بهما ويطمعان فى العطية من رب البرية، حتى كانت البشرى بعد سنوات العقم الطوال، كانت طفلة كالقمر فى تمامه، وجهها كالشمس الحانية يشع نورا"،الفرحة غامرة فى قلب الأبوين الصبورين التقيين، لكن الله يختبر من يشاء من عباده، ويخص الصالحين، لم تكتمل الفرحة حين بدا لهما أن إبنتهما كفيفة البصر، مرت لحظات الإشفاق واللوعة،بركعتى الشكر والحمد لله على كل شىء،

تقلصت الأحلام والأمنيات فى معين الأبوين، لكنهما فكرا واتفقا على مستقبلها الآتى، لم يكن أمامهما خيار آخر، تعهدا بها إلى شيخ (كُتّاب) القرية، حتى تحفظ معه آيات القرآن وتفسيره، كان الأب يأخذها معه فى طريقه إلى عمله حتى دار الشيخ، وعند الظهيرة تعود بها الأم، حتى حفظت القرآن كاملا" عن ظهر قلب تجويدا" وترتيلا فى ست سنوات، كانت فرحة الأبوين لا توصف وهى تتجلى أمامهما ببعض قصار السور، الصوت ينطلق فى جنبات الدار كقيثارة من السماء، كان المار من أمام الدار يقف متعجبا" مستحسنا"هذا الشدو الربانى، لم يجد الجيران بدا" من تحية هؤلاء المارة الذين تجمعوا لسماع الشيخة الصغيرة (إحسان) سوى فرش البساط الحصيرى على مصطبة طينية فى مواجهة الدار، ذاع صيتها فى أرجاء القرية وماجاورها من كفور ونجوع، كانت تركب الدابة لتقرأ القرآن فى بيوت المحبين، كانت الشيخة (إحسان) مصدرا" للخير على أبويها، حتى رحل والدها عن

دنياها عصر يوم، وكانت ليلة العزاء من الليالى التى لاتنسى، فقد كانت تقرأ ترحما" على والدها الذى لم تجف دماؤه بعد فى قبره، كل آية تقرأها كانت تنساب الدموع من العيون، تعجب الناس كيف تغلبت على حزنها بهذه القوة فى صوتها الملائكى الرنان، تقرأ والناس تبكى، كانت بكائية جماعية لم تتكرر ولن تتكرر أبدا"،حظيت بعدها بحب القلوب، تمنى كل واحد خدمتها، لم يمض عام الحزن إلا وتجدد بوفاة أمها، كان عامها السابع عشر لم يكتمل بعد، قهرها الحزن على أمها التى كانت تتكفل رعايتها رغم سنها الطاعن، لم تقو على القراءة لها كما فعلت لأبيها، لكن الله كان يرعاها، سخر لها عبدا" من عباده الصالحين، كان شيخا"كبيرا"،يصلى الفجر ويعود إليها طارقا" بابها، يهيأها للصلاة، ويعد لها طعامها، وينظف لها المكان ويرحل في هدوء،ظل على هذا الحال مابقى له من عمر حتى رحل هو الآخر،حتى تكفلتها بعض النسوة بالرعاية إمتدادا" لمهمة من كان يخدمها، تقدم لها بعض شباب

القريــــة للـــزواج، لكنهـــا رفـــضت هـــذه الـــشفقة المغلفـــة بالرحمة، تفرغت لعبادتهـا ورسـالتها التـى آمنـت بها، كانـت تقوم بتحفيظ من يـأتى إليهـا مـن كافـة الأعمـار كتـاب الله دون مقابـل، كانـت تقـول (إنمـا نطعمكـم لوجـه الله، لانريـدمنكم جـــزاءا" ولا شـــكورا)، لكـــنهم قـــالوا (لقـــد قبـــل النبـــى الهدية)، فعاشت على محبة الناس وحبهم لها، لكنهم حفظـوا من ورائهـا مقولتهـا الـشهيرة لهـم جميعـا"(ربنـا إرزقنـا مـن فضلك، وأحسن لنا خاتمتنا). كان كـل بيـت يـدين لهـا بالفـضل والعرفان، ففيه على أقل تقدير واحدا" قد أتم حفظ القرآن علـى يديها، كأنهـا كانـت المـدد الحـى لنـور الله فـى بيـوت عبـاده، وتصحو القرية على غير عادتها، يهيمون فى الطرقـات هرولـة فى ساعة تباشير الفجر الأولى، كان مكبر الصوت ينادى (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، إنا لله وإنا إليه راجعون، توفيـت إلى رحمـــة الله تعـــالى، طيبـــة الـــذكر، الفقيرة إلى ربهـــا، الـــشيخة إحـسان، كـل مـن عليهـا فـان، ويبقـى وجـه ربـك ذو الجـلال

والإكرام)،لم تشأ النسوة أن تغير موضعها، بل تركنها كما هى على ذات الوضع، كانت تصلى لبارئها صلاة الفجر،وقبضت روحها الطاهرة وهى فى وضع السجود،كانت أمنيتها الكبرى وقد نالتها عن جدارة وإستحقاق، فما كان لله دام واتصل، وماكان لغير الله إنقطع وانفصل، بعد ليلة العزاء التى توافد عليها مشاهير القراء حبا"لها وسيرتها العطرة، وكانت المفاجأة الكبرى، أن يتقدم فتية آمنوا بربهم من صغار السن الذين تتلمذوا على يديها، يتلون الآيات واحدا" تلو الآخر فى مشهد إنتزع من القلوب آيات الإعجاب والإبهار، إنهم إمتدادها الحى، فسبحان الحى الذى لايموت، قرر أهل قريتها أن يشيدوا لها مسجدا" جديدا" محل دارها يحمل إسمها تخليدا" لذكراها، ربنا إرزقنا حسن الخاتمة.

رسالة فى بريدى

السلام عليكم اخوتى فى الله..

أتمنى من يقرأ لى هذه الرسالة أن يدعو لصاحبها فى هـذه الايام المباركة عسى الله أن يستجب لقلـب أحـدكم ليخفـف عـن صاحبها الان، انى سوف أقصها عليكم للعبرة ليعتبر كل ظالم، أن الله الجبار يسمع ويرى ويشاهد وأن الله يمهل ولا يهمل.

انـه الظلـم الـذى حرمـه الله سـبحانه وتعـالى علـى نفسه وحرمه على الناس، فقال سبحانه وتعالى فيما رواه رسـول الله فى الحديث القدسى (يا عبادى انى حرمـت الظلـم علـى نفـسى وجعلته بينكم محرما"،فلا تظالموا). رواه مسلم.

وهذه قصته، انه أحـد أعمـامى، وقـد كـان ضـابطا" بـأمن

الدولة وكان طاغية لا يعرف للظلم حدا"، سامحه الله وكأن الله نزع الرحمة من قلبه.كنا نسمع وعمتى رحمها الله عن اشياء رهيبة تصدر منه تجاه أبرياء تحت يده فقط لانهم من الجماعات الاسلامية، وأذكر أن عمتي رحمها الله قاطعته لمدة طويلة بسبب انها زارته في محل عمله قبل إبتلائها ورأته يعتدى بالضرب على أحد المعتقلين لديه أمامها،فهالها ما رأت وما كانت تراه، وكانت تقول له اتقى الله واتقى الظلم فان الظلم ظلمات في الحياة قبل الممات، يا أخى اشفق عليك من عقاب الله، ارحمنى رحمة بى، لا اريد أن أرى عذاب الله فيك وأنت من دمى فاتقى الله، واغتنم صحتك فيما يرضى ربك، وتذكر أن هناك من هو أقوى منك، والله..الله قادر أن يسلطه عليك، الا أنه لم يكن يسمع لها ابدا".

وذات يوم استيقظنا جميعا" على صراخ امرأة مسنة، كانت تصرخ وتدعو على عمى بقسوة وبنحيب شديد، وكان عمى يصرخ ويأمر الحرس بطردها وعدم السماح لها بالدخول،

بل وان بعض الحرس اعتدى عليها بالضرب لتسكت ولا تدع على عمى، الا أن عمتى رحمها الله صرخت فيهم وأمرتهم أن يرفعوا ايديهم عنها وطلبت منها الصعود الينا، وتذمر عمى ولكنه رضخ فى النهاية لطلب عمتى رحمها الله، وطلبت منى وقتها للاسف الخروج فلم أرَ مادار بينهما، ولكن أذكر أن عمتى أغمى عليها ومرضت لايام طويلة وامتنعت عن الطعام والشراب، بعدها علمت أنه كانت هناك حملة على أحد المساجد وكانت هناك عقيقة لاحد الاخوان فجمع كل من بالمسجد ومن بينهم رجل ليس له فى شيء الا أنه فقير اشتهى اللحم فحضر من فقره، وكان لديه اربع بنات صغار وام وزوجته متوفية، وعلمت أن هذا الرجل مات من التعذيب الشديد وهو بالمعتقل لدى عمى، بل وأن عمى استطاع النفاذ بطرقه المعتادة وقيد الوفاة انها طبيعية، ونجى من عقاب العباد، يا الله..والله انى ارى آية فيه ربما لا أرَ من دموعى لانى أشفق عليه من عذاب الله..أسأل الله أن يرحمه برحمته الواسعة.

الامر عظيم اخوتى والله..الامر رهيب رهيب..ياالله.

نجى عمى ومرت القضية وبالاخص أنه ليس لهذا الرجل الذى مات من أحد يأخذ حقه، ولكن عمتى رحمها الله جاءت بعمى أمامها وما كان ليكذب أمامها، وقال لها(كلب وراح..هذا من حثالة المجتمع ولا أعلم لما هم يعيشون بيننا)،قالت له يا ويلك من عذاب ربك..والله ان ربك يمهل ولا يهمل، تذكر أن الله ليملى للظالم فاذا أخذه لم يفلته، ان دم هذا المسلم برقبتك، انت قاتل وعليك بدفع ديته، تذكر قول ربك (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون).

فأبى عمى.. فقاطعته عمتى رحمها الله لسنوات وكانت ترفض دخوله عليها مطلقا"، وارسلت عمتى رحمها الله من يبحث عن تلك العجوز وعرفنا عنوانها، فارسلت لها المال الكثير، بل وفرت لها مسكن جديد بعدما كانوا يعيشون فى ايواءغير آدمى بالمرة، وكانوا يحيون حياة بائسة، حتى عندما كانت تسافر الى المانيا كانت ترسل لهم من هناك حوالات

بريدية على الرغم من انها اوكلت عمى(أحمد) بمتابعتهم الا أنها كانت تفعل هذا.

ومرت بعض الشهور وتوفيت العجوز ولم يعد للاربع بنات من عائل لهم، وعلمت عمتى رحمها الله بهذا فنزلت واستقرت بمصر بعدما كانت تقيم فى المانيا للعلاج، فجلبتهم عمتى لمنزلنا وقالت هم بناتى وليعيننى الله فى تربيتهم تربية حسنة، وكاد جدى رحمه الله أن يفقد صوابه منها، وقال لها ندعهم فى ملجأ ونرعاهم من حين لاخر ولن نتركهم، فابت عمتى الا ان يبقوا معها وترعاهم ليلا "ونهارا".

عندما اتوا كنا نأنف منهم جميعا" وطلبت(أمى)أن يجلسوا فى غرفة بحديقة المنزل وأن ترعاهم الخادمة، فابت عمتى الا ان يعيشون وسطنا وأنهم ايتام يجب أن يكرموا ويحسن معاملتهم، فرفض أبى وأعمامى، فقالت اذا" دعونى معهم واتركوا لى الدور الثانى وعلى مضض وافقوا رغما" عنهم، وجلبت لهم المعلمات وحفظوا فى حياتها تسع أجزاء من القرآن

الكـريم، وأحـسنت معـاملتهم رحمهـا الله وبقـوا معهـا ثـلاث سنوات اولتهم وقتها وجهدها ورعايتها وكنا نعجب مما تفعل معهم، وكان أبى كثيرا" ما يعنف أمـى ويقـول لهـا انظـرى الى ماتفعل أختى مع من لم تنجبهم..أين دورك مع ابنائك ؟؟؟

ومرت الايام اخـوتى.. وذات يـوم وأنـا بغرفتـى سمعـت عمتى تصرخ من غرفتها، فأسرعنا لنـرى مـاذا هنـاك، تـصرخ وتبكـى وتقـول(يـا الله.. يـا الله.. رحمتـك.. لطفـك يـارحيم.. ارحمه يارب لطفك فـى عـذابك.. يـا الله.. يـا الله.. يـا الله.. يـا الله).. تكررها وتكررها وأنا أصـرخ مـاذا هنـاك أجيبينـى مـاذا حدث وهى لا تستطيع الاجابة.

فقد حان وقت العقاب.. ياالله على هذه الـدنيا.. والله انـى شاهدت آيات فى عائلتى هذه.. فقـد شـيبونى قبـل المـشيب ولا حول ولا قوة الا بالله.

فهمت أخـيرا" أنـه قـد جاءهـا هـاتف يخبرهـا أن عمـى يوسف فعل حادث سيرفظيع وأنه وأسرته بالمستشفى، وأسرعنا

اليهم وعلمنا أن أبناؤه الثلاثة أكبرهم بـ13عام قد ماتوا جميعا" وتمزقوا امام عينيه، وهذا ما أفجع عمتي وكانـت تقـول قتلـهم ابوهم بظلمه، وكذلك شلت زوجـة عمي (سبحان الله كانت تغـار من عمتي بشدة ولا تقـول عنهـا إلا الـشيخة القميـدة). (عمتـي كانت تسير على قدميها ولكن وهي بسن ال21عامـا"حـدث لهـا حادث فاقعدت الكرسي المتحرك حتى ماتت وهي فـي الـثلاثين من عمرها).

وعمي هذا كان الله بعونه أصيب بكسور شديدة تم علاجـه منها ولكن في النهاية أكد لـه الاطبـاء هنـا وبالخـارج أنـه لـن يستطيع الانجاب.

كانت صدمة مابعدها صدمة، الآن هـو اسـتقال مـن عملـه وهو وزوجته من يرعون البنات الايتام بعد وفاة عمتـي، ولكـن حال عمي يسوء يوما" عن يـوم، كـان يـأتي لعمتـي رحمهـا الله ويضع رأسه علـى قـدميها ويقـول (ادعـي لي الله أن يـسامحني) فتقول له (من خلقك فشق سمعك وبصرك ووهبك الحيـاة أقـرب

اليك من حبل الوريد ولا يحتاج لواسطة..استغفر ربك وتب اليه والله سيقبل منك.. ان الله رحمك بما لقيت وانت حى).

انه الان بالمستشفى فى حالة سيئة.. علمت منذ ساعات بهذا.. وحالنا هنا يعلمه الله وحده..ودخلت لاكتب لكم وأقول لكم.. أسألكم بالله الا تنسوه من دعائكم.. اخوتى والله حاله يرثى لها..انه من وقتها يفيق ليلا" ويأخذ سيارته كالمجنون ويذهب بجانب قبر ابنائه ولا يكف عن البكاء.

والله ان حاله يرثى لها.. أسأل الله ان يخفف عنه.. أسأل الله ان يرحمه برحمته.

سحر الكلام

كـان يقـرأ المقـال الأسـبوعى بجريدتـه المفـضلة، هكذا إعتادمنذ عشرةسنوات هى عمر زواجه، ثم يتابع بعض القنوات على شاشة التلفاز إتناء تناوله طعام الافطار، فالزوجة تصطحب إبنتيها معها إلى المدرسة التى تعمل بها معلمة، توقـف عنـدى إحدى القنوات التى كانت تعرض برنامجا" عن الإسـرة، بـدت علـى ملامحـه الـسخرية منتقـدا" الحـوار الـدائر بـين ضـيوف البرنامج، فهناك من يرى أن الرتابة والملل بين الزوجين يرجع إلى إفتقاد لغة الحوار بينهما، أو إختلاف وجهات النظـر وعـدم الألتقاء فـى نقطـة تقـارب، وهنـاك مـن يـرى أن ذلـك مرجعـه لتبـاين الثقافـات بينهمـا، وأجمع ضـيوف البرنـامج علـى أن المتضرر من هذا الوضع، عليـه أن يبـدأ لغـة حـوار تعيـد الثقـة

والألفة بين الطرفين لكسر رتابة الملل،كأن يحاول الزوج أو الزوجة أن يثنى ويمدح ويتجمل بمعسول الكلام فى محاولة للفت الانظار من جديد،سخر الزوج من هذا الكلام وجذم فى قرارة نفسه أن هذا الأمر لن يجدى نفعا" مع زوجته التى لم تعره أى إهتمام فيما مضى،لكنه عاد وقرر أن يخوض التجربة على سبيل الدعابة المعروف نتائجها مقدما"،ذهب الى عمله وهو يفكر كيف يبدأ حوارا" مع زوجته،لم يستغرق الأمر معه كثيرا" حتى أعد السيناريووالحوار عندما يعود الى منزله،إنصرف من عمله مبكرا"،جلس فى ردهة المنزل ينتظر قدوم زوجته وبناته،وما أن فتح الباب معلنا" عن وصولهن،حتى بدأ وصلة المدح والثناء، نظرت الزوجة فى اندهاش ولم تعلق سوى بمصمصة الشفاه، دخلت إلى غرفة النوم لتغيير ملابسها،ذهب ورائها يمدح ثيابها وأناقتها على غير المعتاد،نظرت اليه مليا"وقالت له(لابد أنك تخفى شيئا"مريبا" تحاول التستر عليه، أنا لا أصدق ماتقول،وما هذا التغيير

المفاجيء بعد كل هذه السنوات ؟؟)، قال (أنا أحس أني أراك لأول مرة، ولا أعرف كيف راودني هذا الشعور الآن)،ثم تركها وعاد إلى مقعده الوثير في ردهة المنزل،ذهبت إلى المطبخ لتعد الطعام وهي تتابعه بظرة إستنكارية، إجتمعت الأسرة على المائدة، تشمم رائحة الطعام وأرخى جفنيه وهو يميل برأسه الى الوراء قائلا"(الله ماأذكى هذه الرائحة وأطيبها،تسلم الأيدى التي صنعت ذلك الطعام الشهي)، الفضول يتملك الزوجة،تتسع حدقتيهامع فمها الفاغر في إندهاش)، فرغت الأسرة من الطعام، وذهب الزوج إلى مخدعه ليغفو ساعة القيلولة التي تعود عليها،يصحو في الخامسة، ليتهيىء بإرتداء ملابسه إستعدادا" لقضاء سهرته المعتادة يوميا" مع زملائه على المقهى الوحيد بالحي، لكنه تعمد أن يتأخر تلك الليلة لينفح زوجته المزيد من كلمات الغزل، تأخر عن موعده اليومي المعتاد، الزوجة كانت تعد وجبة الأفطار لزميلاتها في المدرسة، كان الغد هو دورها في أعداد الوجبة،دخل عليها

المطبخ عارضا" مساعدتها،لكنها قالت أنها ستستغرق وقتا" في الاعداد سينهك قواها، فقال لها مبتسما" (لا ترهقي نفسك بالاعداد، وعليك أن تكتبي لي مجمل الطلبات وسأقوم بشرائها من الخارج) فرحت الزوجة جدا" من هذا العرض الذي سيريحها من عناء تلك الوجبة،هرول الزوج مسرعا"ليلبي لزوجته هذه الخدمة التي فرحت لها كثيرا"، عادت الى مخدعها لتنام، فقد إعتقدت أن زوجها سيأتي متأخرا" بعد قضاء سهرته مع أصدقائه، إلا أنه عاد مبكرا"بعد أن فرغ من الشراء، لم تصدق نفسها أنه عاد،سألته(لما عدت مبكرا"،إعتقدت أنك ستعود ككل ليلة) قال (عدت لنقضي السهرة معا")،مرت أيام قليلة على نفس المنوال،أحست فيها الزوجة أن زوجها صادقا" فيما يفعل، تغير الحال إلى الأفضل، بدا على وجه الزوجة إنتعاشا"وحيوية، نظرت الى وجهها في المرآة، لم تصدق مارآته عيناها، وجها" تبدو على ملامحه النضارة والحسن،تدفقت فيه الدماء والحيوية، كانت تتجمل

لتخفى شحوبها وإصفرار ووجهها بالمساحيق وأدوات الزينـة، وهاهى ترى نفسها جميلـة الجمـيلات دون إسـتخدامها، فلمـا لاتبدو طبيعية، قـررت أن تبعـد كـل هـذه المساحيق مـن أمـام مرآتها،تزينت بأبهى الثياب فـى المنـزل، تفننـت فـى إعـداد أشهى المأكولات التى يفضلها زوجها، تقاسما الزيارة إلى الأهل والاصدقاء، لم يعـد الـزوج يرتـاد ذلـك المقهـى، لمعـت العيـون بالسعادة،حدث الزوج نفسه(كانت البداية مزاحا" منى ليقينى بالفشل،لكنها كانت الحقيقـة التـى غابـت عنـى عـشر سـنوات كاملة، كان مفتاح السعادة هو لسانى، لكننى لم أحاول أن أفتح به الأبواب الموصدة،وكان يقبع خلف أحدها قلب زوجتى).

أيهما أنت يا أبى؟؟

فى ساعة متأخرة من الليل، تجرح سيارة السكون المطبق على الحى، حتى خمد صوتها أمام أحد المنازل المتواضعة، يدلف من بابها الخلفى جنود مدججون بالسلاح، يصعد قائدهم فى خفة وسرعة عتبات الدرج المتهالك ومن خلفه جنوده، حتى يقف أمام باب شقة فى الطابق الثالث يطرق بابها بعنف طرقات متلاحقة، مع صوت جهورى ينطلق فى حدة آمرا" بفتح الباب وإلا تم كسره، مرت دقائق سمع فيها صوت الابواب المغلقة وهى تفتح، يستطلع من خلفها الامر بدهشة وفضول، توقفت الاسئلة وإبتلعتها الحناجر، كانت إشارات الجنود تأمرهم بالدخول الى حيث كانوا، تنفرج فتحة الباب ببطىء حتى إتسعت عن آخرها بدفعة قوية من قائد الجند ترنح على

إثرها رب المنزل ليسقط أرضا"،تنتشر القوة فى جنبات المسكن تبعثر كل ماوقعت عليه أيديهم أرضا"،يفيق رب المنزل من صدمته متسائلا"(كيف يكون هذا ؟؟ومن أنتم؟؟وماذا تريدون) يصيح قائد الجند مهددا" ومتوعدا" بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا لم يقل لهم أين يخبىء الكتب والشرائط، حتى قطع أحد الجنود الحديث الدائر وهو يلوح بمجموعة من الكتب وبعض الشرائط،كانت الردهة تحمى فى أحد أركانها أطفالا" ثلاثة يطبق ذراع كلا" منهما على خصر الآخر، وعيونهم شاردة متلاحقة تتابع هذا المشهد المثير كأنهم يشاهدون أحد أفلام الرعب، كانت أكبر قامتهم طفلة ذات سنوات سبع، يطبق القائد والجنود بتلابيب رب الاسرة، يقتادونه أمامهم، تتعالى صرخات الأطفال تنادى على الأب، كان المشهد تقطر له القلوب دما"، يواسيه الجيران،تحتضن الزوجة أطفالها،توارى عن عيونهم ذلك المشهد القاسى،تنطلق السيارة فى الليل الأعمى، يجلس رب الأسرة بين الجنود معصوب العينين.

تقف السيارة، يمسك أحد الجنود بالرجل ليقوده الى غرفة التحقيق، يجلس منتظرا" على مقعد جانبى، الساعات تمر كالدهر والرجل معصوب العينين، لايسمع حتى الهمس، يقتله القلق، يتملكه الغيظ، يصبر ويحتسب، حتى حانت لحظة الأستعداد للتحقيق، ترفع العصابة عن عينيه فى مواجهة ضوء مصباح قوى، يضع يديه على عينيه ليحجب الضوء المبهر الذى خطف معه بصره للحظات، تنهال الأسئلة على الرجل، يفند الاقوال، حتى تعب المحقق معه، وكان لابد من إنتزاع الاعتراف لتكمل أركان القضية، مكث فى المكان المجهول اياما" ذاق فيها ألوان العذاب، أستسلم الرجل فى النهاية، وقع على وثيقة الإدانة، حكم عليه بالسجن المشدد خمسة عشر عاما"، ظل فى محبسه داخل أسوار السجن سبع سنوات كاملة لا يّرّ الشمس، كان طعامه يأتيه من فتحة ضيقة بالباب الحديدى لمحبسه الإنفرادى، لايفتح الا كل صباح لخروج الفضلات الآدمية، سبع سنوات كاملة داخل غرفة ضيقة، حتى جاءه

الفرج ليخرج الى زنزانـة اوسع وأرحـب يـشاركه فيهـا نـزلاء آخرون،وهـاهو يـستعد لأول زيـارة لـه بعـد سـبع سـنوات، إختـارت إدارة الـسجن يومـا" لكـل نـزلاء الحـبس الإنفـرادى لمقابلة ذويهم دون بقية الـسجناء، قبـل موعـد الزيـارة بـدقائق يصطف النزلاء صـفا" واحـدا"، تفـتح الأبـواب للأهـالى لزيـارة ذويهـم، تنطلـق طفلـة ذات أربعـة عـشر ربيعـا" تـشق جمـوع الزائرين، تقف فى مواجهة الصف الطويل، تفتح ذراعيها عـن آخرها، تصيح فيهم جميعا"(أيهما أنت يا أبى)،يفتح كل نزيل ذراعيه يود أن يحتـضنها هـو الآخـر، تقـترب الخطـى منهـا، قالوا فى نفس واحد (ومن أنت ؟ مـاهو إسمـك؟) قالـت تغلبهـا الدموع الحارة (أنا عبير محمد البيومى)، يسقط رجل مـن بـين النزلاء أرضا"، يجثو على قدميه، يتلقى الأرض بيديه، تغلبـه نوبة بكاء حادة، تتلاحق أنفاسه، يميـل بجذعـه علـى جانبـه الأيمن، مازالت الطفلة تصيح (من منكم أبى؟)، يطبـق الجميـع فـى صـمت تـام تجرحـه العـبرات الـصامتة إلا أيـدى النـزلاء

جميعا" ترتفع فى بطىء، تشير بالسبابة إلى من يـضطجع علـى جنبه الأيمن، ترتمى الطفلة فى الأحضان المفتوحة، تطبق علـى والدها كأنهـا مـشدودة إليـه شـدا"، يتمـرغ الإثنـان علـى أرض السجن الصلبة، تنحدر قطرة من عينى مأمور السجن إلى مثواها الأخير، كانت قطرة الرحمة فى سجن العذاب.

تعديلات أسرية

بهره جمالها، تحرى عنها حتى علم أنها تريد رجلا "بمعنى الكلمة، هاهى الفرصة سانحة أمامه، فلا ينقصه شيئا" ليتقدم لخطبتها،فكل ماعليه أن يتقن دور الرجل من الرومانسية الحالمة الى الصرامة القاطعة، نجح فى الأختبار وتمت مراسيم الزواج بعد فترة وجيزة من الخطبة، بعد شهور الزواج الأولى إكتشف كلا" منهما نقائص الآخر، فهى قد علمت نقطة ضعفه فلعبت عليها بمهارة، وهو علم منها أن والدها كان لاحول له ولاقوة، وأن والدتها كانت هى الآمر الناهى فى المنزل، لهذا كانت تريد رجلا" تلجأ إليه وقت حاجتها ليحميها من إستبداد الأم الطاغي، علمت أنه أرادها زوجة لجمالهافكانت تعاقبه بالحرمان فى الفراش،حتى رضخ

لاوامرها تنازلا" وراء الآخر،وأصبح صورة كربونيةمن والدها
مسلوب الارادة،سارت حياتهما مملة على وتيرة واحدة،أنجبا
خلالهاأربعة من الأبناء، ذكورا" ثلاثة وبنتا" هى آخر سلسلة
التوالى فى المواليد،كبر الأولاد،عاشوا التوترات والمشاحنات
بين الأب والام،محاولات الأب المستميتة لأنتزاع المكانة
والهيبة التى كانت تبوء كل مرة بالفشل أمام العقاب
بالحرمان،وتسلط الأم وإنفرادها بالقرار،كان الأبناء يجتمعون
خلسة لمناقشة مشاكل الأب والأم لايجاد حل ينتصرون فيه
لأنفسهم المشتتة بين الطرفين،لم يكن بيدهم وسيلة للخلاص
تحت هذا الحكم الذى يكفل لهم المأوى والملبس والمأكل،حتى
إتفقوا فيما بينهم على قرار حكموا فيه العقل والمنطق،أن
يستكملوا دراستهم أولا"حتى يتخرج الأبن الأكبر وينهى
تجنيده الألزامى ويلتحق بسوق العمل،حينها سيملك قراره
بيده ويعلن حالة التمرد على الأستبداد القائم،إنكب الأخوة
على التحصيل حتى تحقق الحلم الأول، كانت حركات التمرد

سـلمية بعـدم إطاعـة الأوامـر التـى تحـد مـن الحريـة،كانت المساعدات المالية تتسرب الى جيـوب الأخـوة لمواجهـة قـرارات الأم الإقتصادية، أحست الأم أن أسلحتها تفقد قوتها يوما" بعد آخر،كان رفض الأبناء مهذبا" وفى صمت، حتى لجأت الأم إلى الـزوج لمعاونتهـا فـى كـبح جمـاح التمرد،شـعر الـزوج أن لـه دورا"فى الأسرة بعد أعوام طويلة من التهميش الجبرى، لكنـه لم ينس سنوات القهر والعسف، تظاهر بالموافقةلكنه كان يبطن الأنتقام،جمع أولاده على مائدة الطعام وإحتل منها المقدمة،بدأ حديثه بلهجة حادة آمـرة بـأن كـل مايفعلونـه نهايتـه الفـشل الذريع وأنهم سيحتاجون إلى معاونـة الأسـرة مهمـا طـال بهـم الزمن،النظـرات الجانبيـة بـين الإخـوة تفـصح عـن علامـات الإستفهام فى سر التحول المفاجىء وتقمـص دور الزعامـة علـى ريادة الأسرة، بينما هم يعلمون السر الدفين لسبب الإطاحة به عن عالمهم الأسرى،ينفض الإجتمـاع، ويـدلف كـل الأعـضاء إلى الغـرف يوصـدون الأبـواب علـيهم، يطـرق الأب بـاب الإبـن

الأكبر،يجلس على حافة الفراش، يلوح بعلامة النصر،تنفرج اسنانه عن إبتسامة كبيرة،يؤيد ويشجع بكل قوة ذلك التمرد، يحصل على الموافقة بالانضمام إلى الحركة حين يحتضنه الإبن إنتصارا" للرجولة الغائبة والتى حرم منها طويلا"،يكرر مافعله فى غرفة الأبن الثانى حتى وصل الى غرفة إبنته وتردد فى أن يطرق بابها، خشى الأب أن تنقل إبنته ماسيدور بينهما إلى أمها فيكون عقابه وخيما"،لكنه استجمع شجاعته وتفاؤله من الجولات السابقة وطرق الباب ثم ولج فى خفة الى مقعد إستقر عليه، ثم نظر إلى إبنته نظرة فاحصة أعقبها بسؤال فورى (هل أنت مع ماتفعله أمك بنا؟؟)،يتلقى الأب إجابة فورية (ولماذا تركت لها الحبل على الغارب؟؟)،ثم إستطردت فى الحديث (لقد كنت فى غاية الحزن والأسى وأنا أراك فى هذه الصورة التى لاأرضاها لك أبدا"،لماذا ياأبى لم تقم بدورك معنا كأب نحس معه بالحنان والحماية من أى عدوان علينا؟؟)،يصمت الأب واضعا" رأسه بين كفيه،ناظرا" الى

قدميــه، تتلاحــق الــدموع مــن عينيه،إنــه صــمت الأعــتراف بالخطأ،تقفز إبنته من مكانهـا، تحيطـه بـذراعيها فـى حنـان بالغ، تقبل الرأس المنكس بالأنكسار، تقول له: لا لا يا أبـى لا أريد أن أراك بهذه الصورة.. أنت تزيد من عمق آلامى.. لايجب أن تكون هكذا أبدا"..إنتصر لنـا يـاأبى.. أريـد أن أحكـى عنـك لأصدقائى كما هم يحكون، لقد حرمتنـى أن أذكـر عنـك شـيئا" سنينا" طويلة)، يمـسك الأب بيـد إبنتـه، يرفـع رأسـه لينظـر إليها مليا"،يقف منتفضا"، يخرج من الغرفة،يقف فـى ردهـة المنزل، ينادى على الجميع بالحـضور، يـأتى كـل واحـد مـنهم متثاقل الخطى و فـى شـبه دائـرة يحطيـون بـالأب ومعهمـاالأم التى وقفت تمصمص الشفاه في استنكار وحين حاولـت الكـلام، كان صوت الأب جهوريا"،(من الآن فـصاعدا" مـن يريـد شـيئا" فليطلبه منى أنا،من له مشكلة فليفتحها معى أنا،لاتخجلوا من أى شيء، وأنا كفيل بوضع الأمور فى نـصابها)،يـصفق الأبنـاء لوالدهم أمام الأم التى إنفجرت فى وصلة كلامية متلاحقة تصب

فيها جام غضبها على الجميع، تنسحب وهى تشيح بوجهها عنهم، تعلو ضحكة من الإبنة لاتصدق ماتراه عينيها،يتأبط الأبن الأكبر ذراع والده إلى خارج المنزل،يعودا بعد وقت قصير،يحملان سريرا"ومشتملاته، يفرغ الابناء فى وضع الفراش فى مكانه الجديد بغرفة المكتبة،قرر الأب أن تكون غرفته الخاصة،تمر الأيام بين سكنات وإضطرابات، تقاوم الأم حركة التغيير دون جدوى، أثناء طعام الغذاء على المائدة المستديرة،تقترح الأم رغبتها فى تغيير أثاث المنزل لكسر الملل والرتابة،يستفتى الأب الأبناء، يوافق شعب المائدة على الإقتراح، تسأل الأبنة أمها(مارأيك ياأمى لو وضعنا غرفة نومك مكان غرفة المكتبة؟؟ سيكون جميلا"أن تشرق الشمس عليها كل صباح)، تهز الأم رأسها بالقبول.

حماتى هى أبى

يواصل الهاتف المحمول رنينه كلما توقف، كان يؤدى فريضة المغرب، حينما فرغ أسرع فى عجالة للرد على المتصل، كانت على الطرف الآخر زوجته بمحل إقامتهما، كنت أتابع تغير قسمات وجهه بينما هو يتعجل التفاصيل، ينهى المكالمة ويهبط كحجر ثقيل على أقرب مقعد، القلق يتزايد وهذيانه مع نفسه بصوت واضح جعلنى أتدخل فى الامر، قال (أمى تعانى من مبادىء جلطة بالدماغ، لكن الطبيب قال إنه العصب الخامس من لفحة برد شديدة أدت الى إنحراف الفم مع تسايل اللعاب منه، ولا أدرى كيف التصرف الآن)، كنا نقيم بشقة بأحد أحياء المدن الجديدة على مشارف القاهرة بحكم ظروف عملنا، هو شقيق زوجتى وأمه هى حماتى، عادت بى الذاكرة

الى ظروف وملابسات مرض والدى رحمه الله، تلاحقت الصور وتتابعت أمام عيناى، تساقط الدمع دون أن أدرى، أن ترى والدك فريسة للمرض لايملك معه حراكا"،غارقا"فى بوله متكئا" بيمينه على سجادة بجوار فراشه، تسأله ماذا حدث فلايجيب سوى بنظرات حائرة كانت أبلغ من أى إجابات، ذلك الرجل الذى لم يدخن فى حياته سيجارة واحدة، المحافظ على صحته بالاعتدال فى الطعام، والممارس لرياضة المشى بصفة يومية، كانت صدمة عنيفة بالنسبة لى أن أراه طريح الفراش بغرفة العناية المركزة يغط فى نوم عميق تتدلى من يديه أنابيب مطاطية تحمل سوائل الحياة اليه، تمنيت أن يستفيق وينظر الىّ لترتاح عيناى المسلطة على وجهه يفصل بيننا حائط زجاجى شفاف، كنا فى منتصف الشتاء، والبرد يعصف بى، كانت تنهار قواى من الوقوف لفترات طويلة، أفترش أرض الردهة الطويلة للعناية المركزة بصفحات جريدةالاهرام من تحتى، تحدثنى نفسى بأن الفرج قريب وأنه سيخرج الآن طبيب

العناية ليقول لى أن والدى قد أنهى فاصل النوم المستمر وأنه جالس الآن على فراشه يستدعينى للقياه، كنت أسبح فى بحر أفكارى وأحلامى، نتبادل المواقع أنا وأشقائى بين الصحو والمنام، تتابع الايام حتى وصلنا الى اليوم السابع والعشرون، تخرج ممرضة شابة تعلو وجهها ابتسامة وضاءة تتهلل بشرا"قائلة"(لقد أفاق والدك من غيبوبته وهو الآن يعبث بستائر فراشه وأريد الحلاوة)، قفزت الى داخل العناية الى حيث أبى، وجدته يتأمل المكان بعناية وإندهاش واضح، كانت آثار النوم الطويل بإفرازاتها على جفنيه، بللت قطنة بالماء ونظفت الرموش والجفنين مع مقاومة منه، كان يعبث بذقنه التى إستطال شعرها، أحس بضيق شديد منها، عرضت عليه أن أحلقها له فهز رأسه بالايجاب، كانت قمة سعادتى ليس بالافاقة فقط ولكن وأنا أحلق له ذقنه، لم تتحسس يدى وجنتيه بهذه الصورة من قبل، بدا ووجهه أكثر إشراقا" بعد الحلاقة، أنحنيت لأطبع قبلة على وجنتيه الا أنه أستدار

ليتلاقى الفمان ثغرا" بثغر، وفى حركة لا إرادية يحتضن كلا" منا الآخر فى مشهد تمنيته من قبل مرارا"،لكنها هيبة أبى التى كانت تمنعنى من ذلك، بعد محادثة تليفونية كانت كل الاسرة بجواره يبكون فرحا" على السلامة والنجاة، كنت أعرف مسبقا" أنه لن يستطيع تذكر الاسماء مرة أخرى، فقد دمر النزيف خلايا الذاكرة للاسماء بتجلط الدم عليها، لكنى حمدت الله على وقوفه على قدميه دون إعاقة تذكر، ظللت بعدها طيلة سبع سنوات المترجم الشخصى لما يريد أن يقوله لنا، كان يعرف كل شيء الا أنه لايستطيع أن ينادى أى شخص بأسمه، تذكرت كل هذه الاحداث فوقفت مكانى أجرى بعض الاتصالات التليفونية مستوضحا" ساعة المرض وكم مضى عليها من ساعات، لانها أعراض جلطة الرأس، يطمئنى كل من تحدثت إليه، سألنى شقيق زوجتى مالعمل مرة أخرى؟؟، قلت له علينا الذهاب فورا" لنقرر ماذا نفعل فالوقت يمر وهو العامل الحاسم فى مثل هذه الحالات، وليس من سمع كمن

رأى) نستقل السيارة لتنطلق بنا قاطعة صخب الليل بضجيجه تسابق الريح، ولا أعرف كيف أحببت حماتى بتلك اللحظة عن ذى قبل، حين تتطابق الصور لحدث من الحياة مر بك تسقط الاسماء ويبقى الحدث عالقا" بالذاكرة، ترانى كنت صادقا" حين قلت أن حماتى هى أبى؟

الشيطان يحصد..

رجل وامرأة جمع الحب بينهما ردحا" من الـزمن حتـى قارب الزوج العقد الـسادس وتـصغره زوجتـه،لم يرزقهمـا الله أولادا"،رضيا بالقدر والمكتوب على غير العـادة، لم يبحثـا فـى دهاليز الطب والاطباء عن السعادة المفقودة وايهما السبب فيها، المنـزل جميـل وأنيـق يتـصدر القمـة لـسبعة أفدنـة مـن أجـود الاراضى الزراعية، كانت نهاية صلاة الفجر لكليهما هى بداية عمل ليوم جديد فى ارضهما التى يفلحانهـا بعزيمـة واقتـدار، فكان حصادها وفيرا" بنعمة وفـضل مـن الله تعـالى، هـذا الـزمن وتلك السنوات الطوال من الكد والعرق أثمرت مالا"جعلهما فـى بحبوحـة مـن العـيش ورغـد الحيـاة، لم يـبخلا علـى أهلـهما وذويهما بهذه النعمة، فكانت جلسات السمر على البساط الممتد

أسفل شجرة التوت العتيقة التى تقارب عمرهما، حتى ان الضحكات كانت تجلجل فى الفضاء الرحب من حولهم زادها ضوء القمر بهاء"،لم يدر بخلدهما أبدا" أنهما مسار حسد من هؤلاء القربى، لم يشفق عليهما الاقارب لحظهما العثر بعدم الانجاب، ولم تكن الزيارات وجلسات الانس والسمر الا طمعا" فى مصلحة أو مجلبة، كان الزوجان من الجود والكرم حد السفه على هؤلاء الذين لايحمدون ولايشكرون، ومن بين ذوى القربى كان أولاد شقيق الزوج السبعة، فتية فى ريعان الشباب ترك لهم والدهم المتوفى فدانا" واحدا" يتقاسمون خيره، وكان عمهما يشملهم بعطفه ويعاملهم كأولاده الذى حرمه الله منهم، وفى ذات ليلة مشئومة نظر الفتية السبعة الى بعضهم البعض فى ردهة دارهم يلعنون الزمن وحظهم العاثر فى ضيق ذات اليد، فما يتقاسمونه معا" يكفى حد الكفاف والستر، أخذ كل واحد منهم يفكر فى مصيره وحاله، وكيف لهم جميعا" أن يتزوجوا ويكون لكل منهم بيتا" وأسرة، وها هو عمهم ينام

على الحرير ويمتلك الكثير من المال والاطيـان، هـل لـو سـألناه المساعدة سيعطينا ويقف الى جوارنا، ؟ وماذا لو رفض وظن أننـا طامعون فى أمواله وكان ذلك سببا" فى قطيعة بيننـا وبينـه ؟.. الاسئلة تتداول من فم الى فـم والاجابـات مـستحيلة، وأخـيرا" اجتمع السبعة على كلمة سـواء زينهـا لهـم الـشيطان، خططـوا للوقيعة بين الرجل وزوجته بعد هذا العمـر الممتـد عـبر الـزمن تقاسماه معا" علـى حلـوه ومـره، كانـت زوجـة عمهـم تـصغره بخمسة عشرمن السنين، وكانت آثار النعمة بادية على وجهها المتورد، فلم يترك الزمن بـصماته بعـد علـى قـسمات وجههـا، حين اختلى أكبر الفتية بعمه همس فى أذنـه أن زوجته تـتردد على أحد البيوت فى القرية ، انـها على علاقة بصاحبه، التفت العم الى ابن أخيه ورمقه والشرر يتطاير من عنينيه، ثـم لطمـه لطمة قوية أطاحت به بعيدا" عنه، ثم صاح فيـه (ايهـا الفاسـق اللعون، كيف تجروء على مثل هـذا القـول، الا تعلـم أنـعـا مـن حجاج بيت الله الحرام، لاتـغفل عن فرض ولاتنتـهـك للحـرمـات

جد، اغرب عن وجهي ايها الشيطان الماكر، ولا تطأ قدماك
عتبة بيتي..اخرج.. اخرج) ينصرف الفتى منكس الرأس بعد
هذا الوابل من الكلمات وعد م استطاعته أن يرد ببنت شفة على
عمه، عصف الخبر بالرجل وظل يفكر ويفكر في الامر سارح
هائم زائغ النظرات، ينظر الى زوجته ولايقوى على أن يسرد
عليها ماسمعه، يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، يتوضأ ثم
يقوم الى الصلاة وبعدها يتلو ماتيسر له من القرآن، لم يدعه
الشيطان وشأنه، بل ملك عليه ليله ونهاره، حتى شحب لونه
واصفر وجهه وكان مدعاة للسؤال ممن يراه، مرت الايام
ومازال الرجل لايبوح بسره لزوجته خشية ان يصدمها الخبر
ويكون مدعاة لانفصال او خلاف، فالزوجة لاتبرح المنزل الا
للضروريات التي يحتاجها البيت وتعود على الفور والزوج
يرقب بحذر، والفتية السبعة يترقبون بشغف هم ايضا"، لم
تلح في الافق بوادر ازمة بين عمهم وزوجته،اعيتهم الحيل في
التفكير كيف يعجلوا بالخلاص من الرجل وزوجه، حتى

اهتدى أحدهم الى حيلة ماكرة، وهى أن يرسلوا الى زوجة عمهم احدى النسوة لتقول لها أن زوجة الرجل الذى اخبرشقيقهم عمه بأن زوجته تتردد عليه، تريدها فى أمر هام، وتنجح الحيلة وتذهب الزوجة الى ذلك البيت، وعلى الفور يهرع احد الفتية الى عمه يخبره أن زوجته فى ذلك البيت الان وعليه أن يأتى معه ليرى بعينيه، لم يتردد الرجل وذهب من فوره الى هناك وراقب المنزل هو وابن شقيقه حتى خرجت زوجته ورآها بعينيه، أطرق الرجل واجما" وكأن على رأسه الطير، وظل صامتا" يجر قدميه جرا"، حتى استغل أولاد شقيقه الموقف تماما" لصالحهم وطرقوا على الحديد وهو ساخن فلان معهم كما يريدون ويبتغون، قالوا له (اترك لنا مهمة الخلاص من هذه الزوجة الخائنة، سنريحك منها وعارها الذى جلبته لك ولنا، لاتفكر فى الامر ولاتبدى أى تذمر أو امتعاض أمامها حتى لاتشك أنك قد علمت بأمرها)، ذهب الرجل الى مخدعه لينام فجافاه النوم وتسمرت عيناه فى سقف الغرفة حزينا" مهموما"

على هذه السنوات الطوال التى عاشها مخدوعا" على حد
زعمه، لكنه كان لايدرى كيف دبرت الحيلة وخطط لها باتقان
واقتدار حتى اقتنع تمام الاقتناع بخيانة زوجته، حاول الرجل
أن يحافظ على هدوئه واتزانه حتى لايبدو عليه شيئا"، الا أنه
أحس أنه لن يستطيع ذلك، فذهب الى أولاد أخيه ليعجلوا
بالقصاص منها، كان شهر رمضان قد أقبل مصفد الشياطين الا
هؤلاء الفتية الذين تجسد الشيطان فيهم فزين لهم الغواية
والمكيدة والقتل، حتى كانت الليلة الموعودة وبعد تناول طعام
السحور،ذهبت الزوجة لتنظف الاطباق فى مطبخ المنزل، كان
للمطبخ شباكا" يطل على الحقل، اختبأ أحد الفتية تحت
الشباك يستره الظلام عن أعين المارة الذين قد يتصادف
وجودهم، حتى أخرج من جيبه مسدسا" محشوا" بالطلقات
وتأهب لوضع الاستعداد وقام الى الشباك وصوب فى صدر زوجة
عمه، وكانت صرختها المكتومة فى جنح الليل البهيم آخر
زفراتها الحارة تنعى الخيانة والغدر، هرع الزوج مع الصوت

وارتطام الجسد بالارض، انتظر برهة حتى يستطلع الامر، فربما كان هناك قادم على آثر الصوت، مرت ساعة والفجر على وشك البزوغ، حملها الى الردهة وغير ثيابها بأخرى نظيفة،ونظف آثار الدماء من المطبخ والردهة وتخلص من ملابسها الملطخة بالدماء، ثم وضعها على فراشها، وغطاها حتى رأسها، وانتظر حتى الصباح الى جوارها، ثم أعلن الخبر للناس التى توافدت على المنزل لتشييع الجثمان الى مثواه الاخير، أثناء اجراءات الغسل للجثة، لاحظت زوجة شقيق المتوفاة آثار جرح غائر فى الصدر، فظنت أنه ربما انكفئت على شيء صلب أودى بحياتها ولم يشأ زوجها أن يفصح عنه خشية من تشريح الجثة واتهامات قد تطول الجميع، فصمتت هى الاخرى، حتى أخبرت زوجها بما رأته فجن جنونه، وتقدم ببلاغ الى جهات التحقيق التى استخرجت الجثة من مدفنها، وكانت معها الحقيقة الكاملة، القت السلطات القبض على الزوج واتهمته بالقتل العمد، الا أنه أفصح عن الحقيقة كاملة،

حتى قبض على الاخوة السبعة ليعترفوا بما كان منهم، وايهم الذى قام بالقتل، استنفذوا معهم كل السبل لحثهم على الاعتراف الا أنهم صمدوا جميعا" ولم ينطقوا بكلمة واتهموا عمهم بالقتل، تخلى جهات التحقيق سبيلهم لعدم كفاية الادلة، وتثبت التهمة على الزوج، تنعقد المحكمة وتنطق بحكمها بالحبس سبع سنوات مع الشغل والنفاذ، يقضى منها الزوج البائس ثلاث ثم يتوفاه الله داخل جدران السجن، وتؤول الفدادين السبع الى الاخوة السبع، وصاحب السماوات السبع يرقب المشهد كاملا"تتردد كلماته على الاراضين السبع (وعزتى وجلالى لامهلنكم ولو بعد حين).

سعاد

البيت رحب كبير لتاجر موثر،أنعم عليه الله بالمال والبنون، اربعة ذكور وبنتا"وحيدة، لم تستطع والدتهم أن تنجز اعمال ذلك البيت الكبير وحدها، فكانت تكترى النسوة لذلك، ظهرت آثار الخير جلية على الابناء فتميزوا جميعا" عن أقرانهم، حتى بدت سعاد الابنة الوحيدة أكبر من قريناتها بسنوات، القوام المشوق والوجه المتورد المشرب بالحمرة، أحست بذلك الفارق وذلك التميز فتغلغل الكبرياء الى ذاتها، فهاهى والدتها تمعن فى تدليلها حتى انها لم تكن تشركها فى اعمال المنزل اليسيرة، عشقت سعاد المرآة ومنحتها الساعات الطوال أمامها، كان الجميع يعاملها كأميرة، قدست ذاتها وانصرفت للملاذها،حتى بنات عمها الستة كن يخدمنها فى

مقابـل الجلـوس الى مرآتهـا والتمتـع بمقتنياتهـا ، لم تكـن الام تدرى أنها تجنـى علـى ابنتهـا الوحيـدة وافسادها ، لم تعـدها الاعداد الجيد تحسبا" ليوم تـصبح فيـه زوجـة وأم، تزوجـت سعاد وبدا الوجه الآخر لها ، فلم تعينها مرآتها للقيـام بأعبـاء الزوجية، تعرضـت للـوم والتقريـع مـن حماتهـا التـى هالتهـا المأساة التى وقع فيهـا ابنهـا ، سـاعدتها رويـدا" رويـدا" حتـى تعلمت كيف تكون زوجة، أحست سعاد بالمهانة أمام حماتها، وأنها تلميذة فى محل اختبار، كل حركة أو بادرة محـل رصـد وتوجس، اختلقت المشاكل مع حماتها لتنجو بحالهـا مـن هـذا السجن الذى لم تطق جدرانه وأوامره، تفاقمت المشاكل ولم يكن هناك من حل سوى البحث عن مكان آخر لينجو الزوج مـن هـذا الجحيم المستمر، يستقر الزوجان فى احدى الشقق القريبـة مـن بيت اسرة الزوج، لم تنقطع زيارات الزوج لاهله وذويه بعد أن استقرت الاحوال، كان هذا على غير الهوى لسعاد التـى أرادت الاستئثار به لنفسها فقط، ظنا" منها أنهـم يحرضونه عليهـا ،

كان الزوج موظفا" صغيرا" لايحقق دخله المتواضع أحلام سعاد الكبيرة فى أن تعيش كأميرة كما كانت فى بيت أسرتها، لم يكن سوى سفر الزوج الى دول النفط، يسافر الزوج ويتدفق نهر من الاموال، زادت المدخرات بالعملة الصعبة، ومازال الزوج فى اجازته السنوية يغدق على أهله بالهدايا والاموال ردا" للدين لوالديه واعترافا" بفضلهما عليه، تعددت قصص الافك والبهتان سردا" من سعاد الى زوجها من سوء معاملة أهله لها فى غيابه، وانهم طامعون فى أمواله، تستشف من عيونهم نظرة الحسد، مازالت سعاد تعيد تلك القصص على مسامع زوجها حتى صدقها وقاطع أهله تماما" وتفرغ لبيته وأولاده، فقد أنجب ثلاثة بنات وولد، ونجحت حيلة سعاد فى اقتناص الزوج، لكن الشيطان كان قرينها فلعب برأسها حتى أماله اليه، فماذا لو تزوج عليها امرأة أخرى، وماذا لو عاد لاحضان أهله وذويه، اختمرت الفكرة فى رأسها تماما" بأن تستولى على أمواله بمحض ارادته، لم يكن هذا الزوج الطيب يرد لها

طلبا"، اقنعته بأن يستثمر تلك الاموال المكدسة فى بناء عمارة تليق بهم وتأمينا" لمستقبل ابنائهما، تسربت أيام الاجازة السنوية كما يتسرب الماء من بين الاصابع، اقنعته سعاد بتوكيل رسمى عام منه اليها لتدير هى اعمال البناء فى غيابه، سجلت قطعة الارض باسمها، ساعدها اخوتها الذكور فى اعمال البناء، ومازال الزوج يودع امواله فى ذات البنك، تكبر البنات حتى تخرجن جميعهن من الجامعة، يتقدم ابن شقيقة الزوج لخطبة الابنة الكبرى، يفرح والد العروس من قلبه أملا" فى اعادة المياه الى مجاريها بينه وبين أشقائه، أحست سعاد بالخطر الداهم من اعادة صلة الرحم مرة أخرى، خططت لافساد الخطبة ونجحت فى ذلك، حتى تقدم ابن شقيقها الاكبر لخطبة ذات الابنة فوافقت وكالعادة يوافق الزوج، تتم مراسم الزواج وينتهى شهر العسل،لتبدأ مراسم النكد بين الزوجين، كانت الابنة تطيع امها فى كل شىء، انصاعت لاوامرها على حساب راحتها وهنائها اعتقادا" منها أن امها

تعمـل لـصالحها، وأنـه يجـب عليهـا أن تقتـنص زوجهـا لنفسها،فنفذت الابنة ما أرادته أمها حرفيا"، لم تكن تـدرى تلك الابنة التى استسلمت لرغبات أمهـا، أن زوجهـا كـان مـن بيت ذكورى، تربى فى كنف والده وتـشرب منـه كيـف يكـون رجلا" هو واخوته، رضخ فى بداية الامر لـبعض طلباتـهـا علـى مضض منه، كان لايحب الشجار ويتجنب المشكلات، لكنه كان راصدا" لما يجرى حوله واعيا"ومنتبها" لذلك، كان يتغاضى عن نصائح والده بوضع الامور فى نصابها، يحذر ابنه مـن شـقيقته بعد أن وضحت الرؤيـة بأنهـا تريـد ابنـه صـورة كربونيـة مـن زوجها، كانت ثقة زوج الابنة فى نفسه كبيرة وانه قـادر علـى حسم الامور فى أى لحظة، لم تجد سعاد اى حيلة سوى قـصص الافك والبهتان التى برعـت فيهـا لافـساد العلاقـات الانـسانية وقطع صلة الارحام، اوعزت لابنتها بـسرد تلـك القـصص علـى مسامع زوجها حتى قاطع أهله مؤقتا" ليصل بزوجته وامهـا الى نهاية المطاف، كان يتودد الى أهله سرا"، حتى جاء اليوم الذى

اكتشف فيه مايدبر له في الخفاء، كان يبحث عن عقد مهم لارض اشتراها مؤخرا"، اضناه البحث دون جدوى، فسأل زوجته عليه وأنكرت الزوجة، شك في الامر فراقب بحذر حتى اهتدى الى الحقيقة، وهي أن جميع مستنداته الهامة وقعت في يد حماته، لم يكن الامر ذو أهمية بالنسبة له فجميعها مسجلة باسمه في الشهر العقارى،لكن الصدمة افقدته عقله، فخرج ذلك المارد عن صمته، ووجه اليها سيلا" من الاتهامات مدعومة بالبراهين والادلة ولم تنكر الزوجة هذه المرة، فكان القرار الحاسم بالانفصال، وكان الاولاد هم الضحية، تدخل ذوى القربى لاصلاح ذات البين، وفي منزل الزوجة كانت الجلسة، انبرى والد الزوجة فى الدفاع عن ابنته كأنه يلقى على مسامع الحضور خطبة عصماء، كان يعتقد أن قصته قد تناساها الناس أو غفل عنها المقربون،حتى هدأت انفاسه وجلس فى مكانه واعتلى زوج ابنته ذات المنبر وصاح فيه قائلا"(يبدو أنك قد تناسيت عن عمد أنك ضيف في هذا

المنزل، ، انـك لاتملـك سـوى ماعليـك مـن ملابـس، وآن الاوان لاذكرك بواقعك الاليم، انت رهين محبسك هذا ولاتملك لامرك قرارا"، سعيت جاهدا" وراء المال حتى حصدت فى نهاية الامر بيديك الهواء، استولت عليك امرأة فبعـت نفـسك لهـا راضـيا" مرضيا"،وكنت لاهلك مارقا" عصيا"، وحـين لم تبـد مقاومـة أو تعلى لـشأنك رايـة الجهـاد، انتـصر عليـك الاوغـاد، وقيـدوك بالاصفاد، ومازلت تبدى العناد للحق والحقيقة، انت لم تحسن تربية ابنائك، ولم تـزرع الثقـة فـى نفوسـهم لاتخـاذ القـرار، فاعتمدوا علـى غيرهـم لتـصريف شئونهم، ارادت زوجتـك ان تقطع حبال المودة بينى وبين اهلى، وكانت تعد العـدة لتـستولى على اموالى بمعاونة ابنتك، ونسيتم جميعا" من أكـون ومـن هـو أبى، الرجـل يجـب ان يكـون صـاحب الحظـوة والكلمـة، وقـد تعلمت ذلك، ولاخير فيه ان بـاع اهلـه وذويـه، وقـد اشـتريت ودهم وحنانهم وانا فى المهد صبيا"،ان استوعبت ابنتك الدرس فأهلا" بها مـن أجـل ابنـائى وان لم تـستوعبه فـأنتم أهـل لهـا

ومكانها بينكم، ولاتدع زوجتك تهمس فى اذنها مـرة أخـرى، بل كن رجلا" مرة فى حياتك مـن أجـل بناتـك.. بمـاذا يـساوى المال أمام راحة البال.. بل كيف يكون المال سببا" لقطيعة رحـم وانفصال.. الدنيا ايها المخدوع لاتقاس بالمال وانما بالاعمال.

أبو اليزيد

كانت أمه تدلله وهو طفل صغير لتذكره بخيبه أبيه حـين سرق اللصوص حماره ،فكانت تشدو له بكلمات اسـتوحتها مـن المأساة

وترنمت له تغنى (أبو اليزيد يكبر ويزيد ، أبـوه خايـب أبو نايب ، سـرقوا الحمـار وهـوه نـايم) ، كـان يهـز رجليـه طربا" لكلمات أمه

وهـو علـى حجرهـا الـدافىء الـوثير، لم يكـن مـستوعبا" للنصيحة التى تتدثر فـى طيـات الكلمـات ، إلى أن شـب الطفـل الصغير يدب الارض

بقدميه فى أولى خطوات السعى فـى درب الحيـاة الطويـل

،كان طفلا" نابها" ينضح ذكاؤه عليه غيرة وحسدا" من القربى وعيون الجيران

خلف النوافذ الموصدة ، تمنت امه أن يلتحق بركب العلم الذى يرفع أهله درجات ، باءت محاولاتها بالفشل حين كانت تسمع كلمات لاتثمن ولاتغنى من جوع .

،كان ناصحوها يفضلون لابنها أن يتقن صنعة تعينه وتعينها على شظف الحياة بعد رحيل زوجها المبكر ، استسلمت الام أمام عراقيل الزمن الذى لايرحم

،اتقن ابو اليزيد صنعته حتى امتلك أسرارها ، فسبقته سمعته الطيبة ومهارته فى مهنته ،تزوج وأنجب فى سلسلة متوالية عاما" بعد عام ، حتى صار عدد اولاده

سبعة بالتمام والكمال ، اربعة ذكور وثلاث بنات ،ماذا يفعل ابو اليزيد وهو مطالب يوميا" بإطعام تلك الافواه الجائعة ،عشرة انفس تعيش تحت سقف واحد ، لو همسوا

فيما بينهم ما إستطاع أحد أن ينام في هدوء ، لذلك كانت حياته عكس حياة سائر البشر ، كان ينام النهار حتى موعد عودة ابنائه السبعة من مدارسهم فيصحو على جلبتهم التى تملأ

صحن الدار جلبة وضجيجا"، يتناول طعامه ويذهب ليصلى العصر فى المسجد القريب ،يتوكل على الله إلى محله الصغير على بضع امتار من محل سكنه ،يظل يعمل فيه حتى تباشير الصباح الأولى ،كانت أمسياته فى محله ذات طابع خاص ، كانت جلسة سمر ليلية مع أصدقائه وزبائنه التى أحسن إنتقاؤها من المثقفين ،كانوا ينصتون لصوت المذياع على رف يرتفع عن القامة ،كانت محطتهم الاذاعية المفضلة هى إذاعة البى بى سى اللندنية الشهيرة ، يسمعون الاخبار ويتناقشون فيها ، حتى أصبح أبو اليزيد وكالة انباء أرضية محلية الهوية والصنع ، كان ينبهر من يستمع إليه بثقافته الواسعة التى تعدت الافق وعبرت المحيطات ، تنور عقله

وإتسع فأنعكس على بيته وأبناؤه ، كان يحلم لهم الحلم الاكبر ، هكذا يحلم كل اب لابنائه ، صمم أن يواصل معهم رحلتهم حتى نهاية مطاف تعليمهم ،.كبر الابناء حتى إستوعبوا كفاح والدهم ومعاناته ، كانت دموع زوجته تسبق كلمات العتاب حين يخبرها أنه باع قيراطا" من أرضه الزراعية التى ورثها عن والده ،كان يقول لها (سأبيعها كلها على أولادى حتى يستكملوا دراستهم ،إننى أربى عقولا" يافاطمة فلا تحزنى ،سيعوضنا الابناء الخير كله) ،باع ابو اليزيد أرضه كلها وفاءا" لتعليم اولاده ،أنهى ابنه الاكبر دراسته الجامعية،وسافر إلى إحدى الدول العربية معلما" فى مدارسها ،شهورا" قليلة حتى استقر به المقام ، وتدفقت الاموال بين يديه ، فأرسل إلى والده الحولات البريدية ليساعده فى نفقات تعليم إخوته ، ظل الابن الاكبر على هذا الحال ، بين سفر وعودة حتى أنهى إخوته تعليمهم جميعا" ، كان أبو اليزيد يدعو لابنه ليل نهار ، أن يرزقه الله من حيث لايحتسب

جزاءا" وفاقا" لما قدمت يداه، لم يفكر الابن الاكبر فى الزواج إلا بعد أن أنهى رسالته التى أحسها بصدق المودة وحرارة الدماء التى تجرى في عروقه ، حتى كانت العودة ،وفاتحه والده فى أمر زواجه ،إنتقى له بفراسة الأب وخبرته من تعينه على الحياة ويأمنها على ماله وعرضه ،تزوج الابن الاكبر وقضى شهر سعادته بين أهله وذويه ، وسافر بعدها إلى عمله، كان الأب يعد الأيام لعودة إبنه إليه، فيفرح معه بمولوده القادم ،قام بطلاء جدران الدار ،وإشترى كبشا" مليحا" لنحره يوم عودة ابنه إليه ،كانت فرحته هذه المرة غير ماعرف من سعادة في الدنيا ،يومان هما الفاصل بين تلاقى الاحضان وطعم القبلات ، ينام أبو اليزيد ويطبق عينيه على أحلامه وسعادته ، تمر ساعات الليل طويلة ،الارق يقلق مضجعه ، حتى صحى من فى الدار كافة على صوت آلام مبرحة وتأوهات

،كان ابو اليزيد يبكى من الالم ، يأتى الطبيب على عجل

، يحقنه بالدواء فى سرعة وقلق ، وكانت النهاية ، توفى أبـو اليزيد عن ذبحة صدرية ، كان الابن الاكبر فـى طريـق عودتـه بسيارته الخاصة، السيارة تحمـل الاغـراض والمتـاع مثقلـة عـن آخرها ، تقف على مقربة من بيت والده ، يقابله أحد المـارة ، يصافحه بحرارة ، يعزيه فى والده ،يصيح الابن الاكبر صيحة الألم الكبرى ، متى وكيـف وأيـن؟؟، يطـرق البـاب علـى أهلـه وذويـه ، تنفـرج ضـلفة البـاب عـن وجـه تملـؤه الـدموع .

نلتقى لنرتقى

نلتقى لنرتقى كان هذا هو عنوان مدونتها، وقعت عيناى عليه بالصدفة البحتة وأنا أتابع جديد المدونات،جذبنى العنوان لاقف عنده مستوضحا" حقيقة خبره، حتى وجدت رسالة رثاء قرأت سطرين منها حتى انساب الدمع من عينى فلم استطع الرؤية بوضوح، تمالكت نفسى واستجمعت رباطة جأشى لاكمل مابدأت، يقول شقيقها، أستحلفكم بالله يامن تقرأون هذه الرسالة، أن تترحموا عليها وأسألكم الفاتحة على روحها، أختى يرحمها الله هى الدكتورة علياء مدرس الاقتصاد والعلوم السياسية، كانت ملاكا" يمشى على الارض، قلبها الكبير احتوانا جميعا" نحن أشقائها بل وسع غيرنا شملتهم بعطفها وحنانها، كن ثلاث بنات صغيرات يتيمات، ماتت

جدتهم آخر عائل لهن،فأصرت على أن تكفلهن تكفيرا" عن ظلم شقيقى الاكبر لوالدهم الذى توفى أثناء التحقيق معه لتصادف وجوده فى أحد المساجد بعد أن علم بتوزيع اللحم المطهو بداخله من فاعل خير، أعترض والدى على استضافة الاطفال بمنزلنا،وصمم على ايداعهم دارا" لرعاية الايتام، لكنها أصرت على ضيافتهم وكفالتهم، فجلبت لهن من يعينهن على دروسهن، وتفرغت هى لتحفيظهن القرآن الكريم حتى أتممن ثمانية أجزاء كاملة، تهكمت عليها زوجة شقيقى ضابط الامن حتى أنها كانت تناديها (ستنا الشيخة)، صبرت وتحملت من أجل اليتيمات الصغيرات، يستطرد الشقيق فى السرد ويقول أمهلونى دقيقتين لانى الآن أبكى.. تتتابع السطور لابكى معه من جديد، يقول كانت أختى قعيدة على كرسى متحرك بعد تعرضها لحادث سير،كانت ذكية ولماحة متفوقة فى دراستها حتى أنهت المرحلة الجامعية بتفوق وعينت معيدة بالكلية،كانت جميلة فعائلتنا من أصول تركية،

تقدم اليها شاب من أسرة عريقة وصاحب مركز مرموق، كانت سعيدة به وبحياتها، زهرة متفتحة يملىء عبقها أى مكان تركن اليه، بعد تعرضها للشلل، تركها خاطبها، أظلمت الدنيا بعينيها، كانت تذبل أمام أعيننا ونحن عاجزون على أن نفعل شيئا" حيالها، انقطعت عن كليتها والناس، وانزوت فى حجرتها تعانى من سوء قدرها، حتى استجمعت قواها بقوة ايمانها وارادتها الصلبة، لتواصل طريقها ومشوارها الاكاديمى، حتى حصلت على درجة الماجستير بامتياز، وأوفدتها الجامعة الى المانيا لنيل درجة الدكتوراه، كان لنا جد لامى يعيش هناك، استضافها جدى حتى حصلت على درجتها العلمية، انتهزت الفرصة لاجراء التحاليل والفحصوات الطبية، علمت أن هناك بادرة أمل فى شفائها، عادت الى مصر لتطمئن على البنات اليتيمات وكانت تقول لنا انهن ابنائى ورسالتى فى الحياة، تلقت برقية من المستشفى بالمانيا بتحديد ميعاد العملية التى ستجرى لها، استخارت ربها وعزمت على

اجرائها، أوصتنا جميعا" بالبنات وكتبت وصيتها وتركتها معى، استدعت خالها ليسافر معها، وقالت له يا خالى اردتك أن تكون معى لتستر لحمى اذا انكشف اثناء العملية، فأنا سأكون فى بلاد لاتدين بدياناتنا ولايعرفون حرمة ديننا، يواصل أحمد شقيق الدكتورة علياء سرد رسالة الرثاء قائلا"، فى صبيحة يوم العملية تم تحضير شقيقتى لغرفة العمليات وخالى الى جوارها، فأمرته أن يجلس على باب الغرفة، جلس الخال يقرأ القرآن على الباب، تمر الساعات حتى انتهت العملية، فدخل مسرعا" ليطمئن على حالتها، لم تكن فى وعيها فمازالت تحت تأثير المخدر، يجلس الخال على كرسى بجوار سريرها يقرأ القرآن حتى توقف وهى تردد نفس الآية التى توقف عندها وكانت (رب ابنى لى عندك بيتا" فى الجنة)،يقف خالى على قدميه فى ذهول يتأملها ممسكا" بيديها، حتى سألته عن الساعة، وطلبت منه أن يأتى بالماء، ظن أنها تريد أن تروى ظمأها بعد العملية، أحضر لها الماء

مسرعا"، فقالت لـه وضـنى ياخـالى، ووجـه الـسرير الى القبلـة ففعل مندهشا"،ثم قالت له اتركنى الآن مع ربى، جلس بعيدا" عنها يتمتم بالدعاء ويبتهل الى الله حتـى سمـع توقـف نبـضات الاجهـزة لتتحـول الى صـفير دائـم، صـعدت الـروح الى بارئـهـا وبقيت ابتسامة كبيرة علـى وجـهـا علامـة القبـول فـى دارهـا الجديدة.

دار البقـاء الابـدى، يبكـى بحرقـة وهـو يقـول أسـألكم الدعاء.. أسـألكم الـدعاء لقـد أوصـت شـقيقتى يرحمهـا الله فـى وصيتـها بثلث ماتملك لبناتـها الثلاث.

الفهرس

حُب في الظهيرة



حمدي البابلي

ينتظره الأب على عجل. الشمس حارقة وهو يخشى عليه من قسوتها.. حين إقترب الابن، همَّ الأب بالوقوف حتى يساعده فى فك وثاق الماشية. إلا ان الابن غافله واستدار بسرعة خاطفة فى مشوار جديد.. جن جنون الأب من عناد ابنه الذى لايخشى على نفسه..

فكر الأب سريعا كيف يوقف هذا الفتى الجامح فى حر الظهيرة اللافح؟..

عاد مسرعا إلى الدار، ثم هرول مرة أخرى إلى الحقل، قبل أن يستدير ابنه فى مشوار العودة..

ظل الأب يتابع سيره داخل الحقل خلف ابنه، حتى كاد أن يقترب منه.. سمع الابن دبيب الخطو خلفه.. نظر ليستطلع الامر..

وإذا به يتوقف من فوره، ويجرى مسرعا..



مع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة يناير العظيمة- وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر، أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، واحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع، وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري، كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر، التي تخيف طرفيها - الناشر والقارئ - على حد سواء..

وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت - وبشدة - اقتصاديا، ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال هذا العام، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرا، إيمانا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية، وحرصا منها على استمرارها في دورها، وإيمانا منها - كما عهدتموها - بالشباب الموهوب..

ليصبح بين أيديكم، هذا الكتاب.

النـاشـــر

